

المقدمة

لا يخفى على الباحثين والدارسين في كتب تفسير، ومعاني، وإعراب القرآن الكريم خصوصاً، ودارسي العلوم الشرعية عموماً؛ ما لابن هشام الأنصاري من مكانة علمية سامية، وكيف لا يكون متبواً هذه المكانة وهو الذي درس علوم وقته على يد كبار أئمة الصنعة كلا حسب اختصاصه من علماء العربية، والقراءات، والفقه، والأصول، وغيرها من العلوم، مع فرط ذكاء، وحضور ذهن، ودقة فهم، وسعة اطلاع، شهد له بذلك العلماء الأفاضل^(١)، ومع انصرافه إلى علوم العربية وتركه الأثر الواضح في الدرس النحوي، والصرفي، واللغوي، والبياني في خالفه، كان له الأثر الواضح أيضاً في علماء التفسير لما في كتبه النحوية من فائدة علمية؛ ولا سيما كتابه (مغني اللبيب عن كتب الاعاريب) الذي أصبح كالجامع لنكت إعراب، ومعاني، وتفسير القرآن بدليل قوله: (... وضعت الكتاب لإفادة متعاطي العربية والتفسير جميعاً)^(٢)

(١) ... قال عنه الإمام ابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ: (أتقن العربية ففاق الأقران بل الشيوخ ... تصدر الشيخ جمال الدين لنفع الطالبين وانفرد بالفوائد الغربية والمباحث الدقيقة والاستدراكات العجيبة والتحقيق البالغ والإطلاع المفرط والاقتدار على التصرف في الكلام والملكة التي كان يتمكن بها من التعبير عن مقصوده بما يريد مسهباً وموجزاً مع التواضع والبر والشفقة ودماثة الخلق ورقة القلب قال لنا ابن خلدون ما زلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام أنحى من سيبويه) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني ٧٧٣ هـ، ٨٥٢ هـ : ٣ / ٩٣ ، تحقيق مراقبة / محمد عبد المعيد ضان الناشر مجلس دائرة المعارف العثمانية سنة النشر ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م حيدر آباد / الهند ،

وقال عنه الإمام ابن مفلح : (... الشيخ العلامة منقح الألفاظ محقق المعاني صاحب التصانيف المفيدة... اشتهر وسار ذكره في الآفاق وانتهت إليه مشيخة النحو في الديار المصرية قال ابن كثير وكان فرداً في هذا الفن وكان كثير الديانة والعبادة له يد طولى في المعاني والبيان والعروض... ودرس في التفسير بالقبة المنصورية وغيرها وأخذ عنه جماعة من المصريين وغيرهم) المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد ، للإمام برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح ٨١٦ هـ، ٨٨٤ هـ : ٢ / ٦٧، ٦٦ . تحقيق د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين الناشر مكتبة الرشد سنة النشر ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م مكان النشر الرياض - السعودية

(٢) مغني اللبيب عن كتب الاعاريب للإمام جمال الدين ابن هشام الأنصاري : ٦١٥ تحقيق وتعليق الدكتور مازن المبارك، محمد علي حمد الله نشر دار الفكر، ط/الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م . بيروت - لبنان .

وقوله هذا جاء بعد فترة طويلة من توليه درس التفسير في القبة المنصورية^(١)، بعد وفاة أبي حيان الأندلسي عام (٧٤٥ هـ)؛ حيث أنه أكمل تأليف كتابه المغني، و الإضافة إليه قبل وفاته بثلاث سنوات، حيث كانت سنة انتهائه من تأليفه عام (٧٥٩ هـ) و وفاته كانت عام (٧٦١ هـ)^(٢)، مع طول معاناة لعلوم العربية دراسة، وتدريساً، وتأليفاً؛ فكان أن صاغ ذلك عقلية ابن هشام صياغة صرفته عن التنظير والبحث المجرد في علوم العربية، إلى توظيف النحو واللغة في خدمة النص القرآني، للوصول إلى المعنى الذي يحتويه النص من طريق العبارة أو الإشارة^(٣). وبحثي هذا يتكلم على ناحية من نواحي تأثير ابن هشام على خالفه من المفسرين، وهو: توجيه معاني الأدوات النحوية في النصوص القرآنية التي فسرهما من جاء من بعده من علماء التفسير في تفاسيرهم، ولذلك قسمت بحثي على ثلاثة مطالب، كل مطلب يتكلم على اثر ابن هشام في مفسر خلفه، وتأثر المفسر به، وكل مطلب يتفرع عنه أكثر من موضوع فرعي بحسب المقام ثم ختمته بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال بحثي هذا. وختاماً اسأل الله تعالى: أن يختم بالصالحات أعمالنا، وأن يجعل بحثي هذا قرينة إليه، وأن لا يجعله فتنة تفتح علي باب العجب والغرور، بل نعمة تستوجب الشكر والإنابة، والذل والخضوع له سبحانه، أنه سميع مجيب. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله، وصحبه وسلم الباحث

المبحث الأول: الأدوات النحوية لغة واصطلاحاً:

(١) ينظر المقصد الأرشد : ٢ / ٦٦ ، ٦٧

(٢) ينظر مغني اللبيب : ١٤ ، تحقيق و شرح عبد اللطيف محمد الخطيب ، ط / ١ ، الكويت ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .

(٣) دلالة العبارة والإشارة من أقسام الدلالة عند الأصوليين و دلالة العبارة هو أن يكون الحكم المستفاد من النص ثابتاً بالنص مسوقاً للحكم المفهوم من النص ودلالة الإشارة هو أن يكون الحكم المستفاد من النص ثابتاً بالنص غير مسوق له . ينظر التعريفات، تأليف: علي بن محمد بن علي الجرجاني : ١ / ١٣٩ ، دار النشر: دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٥ ، الطبعة: الأولى، تحقيق: إبراهيم الأبياري

لغة: (أدو: الهمزة والذال والواو كلمة واحدة الادو كالختل والمراوغة...وهذا شيء مشتق من الأداة ؛لأنها تعمل أعمالا حتى يوصل بها إلى ما يراد ...،وأداة الحرب السلاح^(١))

اصطلاحاً:(اللفظة تستعمل للربط بين الكلام ،أو للدلالة على معنى في غيرها كالتعريف في الاسم ،أو الاستقبال في الفعل)^(٢) ،إلا أن الدكتور محمود احمد الصغير في كتابه (الأدوات النحوية في كتب التفسير) يرى: أن أوفق تعريف للأدوات النحوية هو تعريف طاش كبري زادة^(٣) حيث يقول:(المراد بالأدوات،الحروف وما شاكلها من الأسماء،والأفعال، والظروف)^(٤) وهذا الأخير هو ما سأعتمده في بحثي هذا إن شاء الله تعالى.

المبحث الثاني: الثعالبي عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي.^(٥)

(١) معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين احمد بن فارس بن زكريا الرازي ت ٣٩٥ هـ : ٤٤/١ ط/ دار الكتب العلمية ط/٢-١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

(٢) المعجم الوسيط ، تأليف/ إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر ، محمد النجار: ١ / ١٠ دار النشر : دار الدعوة تحقيق / مجمع اللغة العربية

(٣) أحمد طاش كبرى (٩٠١ - ٩٦٨ هـ) (١٤٩٥ - ١٥٦١ م) احمد بن مصطفى بن خليل الرومي، الحنفي، المعروف بطاشكبرى زاده (عصام الدين، أبو الخير) عالم مشارك في كثير من العلوم.ولد في ١٤ ربيع الأول، وتوفي في سلخ رجب.من تصانيفه الكثيرة: مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، شرح العوامل المائة للجرجاني في النحو، المعالم في علم لكلام، وشرح الفوائد الغياثية في المعاني والبيان. معجم المؤلفين : ٢ / ١٧٧

(٤) مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ٣٧٩/٢ تأليف احمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زادة ط/ دار الكتب العلمية ط/٣-١٤٢٢ هـ _ ٢٠٠٢ م. وينظر الأدوات النحوية في كتب التفسير للدكتور محمود احمد الصغير: ٤١ ، طبع دار الفكر ط/١ ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م دمشق _ سوريا

(٥) هو عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري المالكي كان إماما علامة مصنفا اختصر تفسير ابن عطية في جزأين وشرح ابن الحاجب الفرعي في جزأين وعمل في الوعظ والرقائق وغير ذلك ومات

أثر الإمام ابن هشام في صرف المعنى عن ما يفيدته ظاهر النص عند الإمام

الثعالبي .

عند كلام الإمام الثعالبي على قوله تعالى: ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾^(١) يكتفي بإيراد كلام ابن هشام في توجيه معنى الآية الكريمة، دون رد، أو اعتراض حيث يقول: (قال ابن هشام: لا يصح انتصاب مائة بأماته؛ لأن الإماتة سلب الحياة، وهي لا تمتد، وإنما الوجه أن يضمن أماته معنى ألبثه، فكأنه قيل فألبثه الله بالموت مائة عام؛ وحينئذ يتعلق به الظرف، انتهى من المغنى)^(٢) وابن هشام منع المعنى الذي يفيدته العامل وهو (أماته)؛ وذلك لأن الموت دام مائة عام، وهذا خلاف الواقع، إذ الموت هو زوال الحياة عن الجسد^(٣) فهو إذن مرحلة تمر بالجسد ثم يبقى بعدها معدوم الحياة^(٤)، وابن هشام في رأيه هذا له دليله من القرآن الكريم، وهو قوله تعالى في الآية الكريمة: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ﴾،

في سنة ست وسبعين وثمانمائة أو في آخر التي قبلها عن تسعين سنة رحمه الله تعالى. ينظر الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، تأليف شمس الدين بن عبد الرحمن السخاوي: ١٥٢/٤ ط / مكتبة الحياة بيروت - لبنان

(١) ﴿أَوْ كَأَلَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَأَنْظَرُ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَسْنَهْ وَأَنْظَرُ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَأَنْظَرُ إِلَى الْعُظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿سورة البقرة: آية ٢٥٩﴾

(٢) تفسير الثعالبي: ٢٠٦/١، ٢٠٧، ومغني اللبيب: ٤٩٩، وعبارة الثعالبي فيها بعض اختصار ونص عبارة ابن هشام هي: (قوله تعالى: ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ﴾ فإن المتبادر انتصاب مئة بأماته وذلك ممتنع مع بقائه على معناه الوضعي لأن الإماتة سلب الحياة وهي لا تمتد والصواب أن يضمن أماته ألبثه فكأنه قيل فألبثه الله بالموت مئة عام وحينئذ يتعلق به الظرف بما فيه من المعنى العارض له بالتضمن أي معنى ألبث لا معنى الإلباث لأنه كالإماتة في عدم الامتداد فلو صح ذلك لعلقناه بما فيه من معناه الوضعي ويصير هذا التعلق بمنزلته في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ .)

(٣) ينظر الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تأليف: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكوفي: ٨٥٧، ٨٥٨، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ط/٢ - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري وجاء فيه (الموت هو ضد الحياة لغة والأولى في التعريف عدم الحياة عما وجد فيه الحياة لئلا ينتقض بالجنين وفي شرح المقاصد زوال الحياة ومعنى زوال الحياة عدمها عما يتصف بالفعل وهذا معنى ما قيل إنه عدم الحياة عما من شأنه الحياة)

(٤) ينظر المصدر نفسه: ٨٥٧

فالآية تصرح بفترة بقاءه في حالة عدم الحياة فيها مائة عام ، لا بقاءه في حالة الإمامة مائة عام .

وعند كلام الإمام الثعالبي على قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ﴾^(١) يكتفي بنقل كلام ابن هشام من المغني : { إِلَىٰ أَجَلِهِ } : لا يصحُّ تعلُّقه بـ (تكتبوه) ؛ لإقتضائه استمرار الكتابة إلى أجل الدَّيْن ، وإنما هو حالٌ ، أي : مستقرًّا في الذِّمَّةِ إلى أجله . اهـ من (المغني) .^(٢) ، وصنيع الثعالبي هذا دليل واضح على تأثر الثعالبي بابن هشام الأنصاري ، حيث لم يزد حرفاً واحداً على قول ابن هشام ، وذكر اسم كتاب ابن هشام الذي نقل منه وهو مغني اللبيب .

ويذكر الإمام الثعالبي تفسير قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَالَكُمُ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَثَأَقْلُتُمُ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾^(٣) بعبارة مختصرة دون ذكر التحليل اللغوي ، والبياني ، وذكر الآثار الواردة في تفسيرها ، ثم يذكر رأي الإمام ابن هشام في توجيه معنى (من) ، أنها تفيد البدل^(٤) فيكون المعنى : أرضيتُم بالحياة الدنيا بدل الآخرة ، وهذا المعنى يشعر به الاستفهام في (أرضيتُم) ، وهو استفهام إنكاري ، ينكر الله تعالى على من تراخى عن الجهاد في سبيله ؛ كأنه رضي بالدنيا ، و قدمها مفضلاً لها على الآخرة والله اعلم .

وبعد أن يذكر الإمام الثعالبي رأي المفسرين في معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَأَى وَكَانَتْ أُمْرَاتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾^(٥) ، يذكر توجيه الإمام ابن هشام الأنصاري للآية وهو : أن (من وراء) متعلق بالموالي ، أو بمحذوف هو

(١) سورة البقرة: آية ٢٨٢

(٢) تفسير الثعالبي : ١/ ٢٣٢ ، و مغني اللبيب : ٤٩٩

(٣) سورة التوبة : آية ٣٨

(٤) تفسير الثعالبي : ٢/ ١٣٠ وينظر مغني اللبيب : ٥٨ ، ٣١٤

(٥) سورة مريم : آية ٥

حال من الموالي، أو مضاف إليهم، ولا يصح تعلقه بخفت ؛ إذ لا يصدر الخوف من وراء المرء؛ فكيف يكون ذلك المعنى مع أنبياء الله تعالى عليهم السلام؛ فيكون المعنى : انه خاف الموالي من أقاربه أن يضيعوا الدين من بعده ، أما بخصوص الأثر الذي تركه ابن هشام في الإمام الثعالبي فهو ظاهر حيث ينقل عبارة ابن هشام بنصها حيث يقول: (قال ابن هشام ومن ورائي متعلق بالموالي أو بمحذوف هو حال من الموالي أو مضاف إليهم أي كائنين من ورائي أو فعل الموالي من ورائي ولا يصح تعلقه بخفت لفساد المعنى انتهى من المغنى)^(١)، وصنيع الإمام الثعالبي هنا لا يأتي إلا من باب الاحتجاج بكلام الإمام ابن هشام الأنصاري على صحة المعنى الذي نقله عن المفسرين، وهو أن سيدنا زكريا عليه السلام خاف مواليه (وهم بنو العم والقربة)^(٢) من بعده أن يضيعوا الدين؛ فسأل الله تعالى أن يرزقه ولدا، يرث الدين، ويقوم بمواصلة الدعوة من بعده^(٣) .

تقديم الإمام الثعالبي كلام الإمام ابن هشام على كلام أصحاب كتب

مجاز القرآن وإعرابه.

يذهب الإمام الثعالبي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾^(٤) إلى أن (من) في الآية الكريمة

(١) تفسير الثعالبي: ٣/٣ و ينظر مغني اللبيب: ٤٩٩ وعبارة ابن هشام فيه: (قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي ﴾ سورة مريم: آية ٥ ، فإن المتبادر تعلق من بخفت ، وهو فاسد في المعنى، والصواب تعلقه بالموالي لما فيه من معنى الولاية أي: خفت ولايتهم من بعدي، وسوء خلافتهم ،أو بمحذوف هو حال من الموالي ،أو مضاف إليهم أي: كائنين من ورائي ،أو فعل الموالي من ورائي، وأما من قرأ خفت بفتح الخاء وتشديد الفاء وكسر التاء فمن متعلقة بالفعل المذكور)

(٢) ينظر تفسير الثعالبي: ٣/٣

(٣) ينظر المصدر نفسه: ٣/٣

(٤) سورة الأنبياء: آية ٧٧

بمعنى (على)، وينسب هذا الرأي إلى أبي عبيدة معمر ابن المثنى^(١)؛ الذي وافقه عليه ابن هشام، وضعف الرأي الآخر بقوله (وقيل)، والذي ذكره الامام الثعالبي أيضا في تفسيره، وهو تضمين معنى (منع) ل(نصر)؛ فيكون المعنى منعاه منهم بالنصر^(٢).

أما صورة تأثر الثعالبي بابن هشام فهي واضحة من قوله: (وكذا يظهر من كلام ابن هشام، ترجيح الثاني)^(٣)، أي القول بمرادفة (على)، لا القول بالتضمنين. والذي

(١) أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري اللغوي الحافظ: صاحب التصانيف. ... روى عنه علي بن المدني وعمر بن شبة وأبو عثمان المازني وأبو العيلاء وخلق. قال الجاحظ: لم يكن في الأرض خارجي ولا جماعي أعلم بجميع العلوم من أبي عبيدة. وذكره ابن المديني فصيح رواياته. مات أبو عبيدة سنة عشر ومائتين وقيل سنة تسع. تذكرة الحفاظ للإمام محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: ٢٧٢/١ دراسة وتحقيق: زكريا عميرات الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م ورأيه هذا لم أجده في مجاز القرآن له وممن نسب هذا الرأي لأبي عبيدة أبو حيان في تفسيره البحر المحيط عند تفسيره لسورة الأنبياء آية ٧٧

(٢) ينظر مغني اللبيب عن كتب الاعاريب لجمال الدين ابن هشام الأنصاري ٣١٦ تحقيق الدكتور مازن المبارك محمد علي حمد الله ط/ دار الفكر ط/ ١ - ١٤١٩ هـ - ١٩٨٩ م بيروت - لبنان

(٣) الجواهر الحسان في تفسير القرآن للإمام عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ٥٩ / ٣ الناشر: مؤسسة الأعلمي للطبوعات - بيروت، والريان في أصلهما راجعان إلى الخلاف بين الكوفيين والبصريين في جواز نيابة حروف الجر والعطف بعضها عن بعض، فالكوفيون يقولون بالجواز والبصريون يمنعونهم ويقولون: إن الفعل المتعدي بحرف الجر في هذه الآية تضمن معنى فعل مناسب له. ينظر في هذه المسألة الإنصاف في مسائل الخلاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين للشيخ الامام كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري ت ٥٧٧ هـ: ٤٧٨/٢ تحقيق الإمام محمد محيي الدين عبد الحميد ط/ دار إحياء التراث العربي الطبعة الرابعة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م و مغني اللبيب عن كتب الأعاريب للإمام جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري ت ٧٦١ هـ - ١٢٠-١٢١ طبع دار الفكر - بيروت، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م تحقيق: د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله حيث يقول ابن هشام: (مذهب البصريين أن أحرف الجر لا ينوب بعضها عن بعض بقياس كما أن أحرف الجزم وأحرف النصب كذلك وما أوهم ذلك فهو عندهم إما مؤول تأويلا يقبله اللفظ كما قيل في: ﴿وَلَا صَلَّيْتُمْ فِي جُدُوعٍ أَنْتَحَلِ﴾ سورة طه: آية ٧١، ليست بمعنى على ولكن شبه المصلوب لتمكنه من الجذع بالحال في الشيء وإما على تضمين الفعل معنى فعل يتعدى بذلك الحرف كما ضمن بعضهم شرين في قوله (شرين بماء البحر ...) معنى روين، وأحسن في: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بَي﴾ سورة يوسف: آية ١٠٠، معنى لطف وإما على شذوذ إنابة كلمة عن أخرى، وهذا الأخير هو مجمل الباب كله عند أكثر الكوفيين وبعض المتأخرين، ولا يجعلون ذلك شاذاً، ومذهبهم أقل تعسفاً وينظر آراء العلماء في هذه المسألة دراسات لأسلوب القرآن الكريم للشيخ الإمام محمد عبد الخالق عزيمة: ٣/ ٣٧٧ - ٣٧٨ .

يقوي ما ذهب إليه أبو عبيدة، وابن هشام، والثعالبي هي قراءة أبي ابن كعب
(١) ﴿وَنَصَرْنَاهُ عَلَى الْقَوْمِ﴾ (٢)

وعند كلام الثعالبي على قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا
عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ
بِالْعَبَادِ﴾ (٣)، يذكر كلام ابن هشام في توجيه معنى الآية؛ من حيث العامل الذي
نصب (يوم) هل هو (يحذركم الله نفسه)، أم بتقدير فعل يناسب المقام فيقول: (وقوله
تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ قال ابن هشام في المغني: (يوم)
نصب بمحذوف تقديره اذكروا، أو احذروا، ولا يصح أن يكون ظرفاً (ليحذركم) كما
زعم بعضهم؛ لأن التحذير في الدنيا وقع لا في الآخرة. أ. هـ) (٤)، وقد صرح باسم
ناقل هذا الرأي في المغني بأنه: مكي بن أبي طالب القيسي (٥)

(١) هو الصحابي الجليل أبي بن كعب أبو المنذر الأنصاري رضي الله عنه أقرأ الأمة عرض القرآن على النبي
صلى الله عليه وسلم أخذ عنه القراءة ابن عباس وأبو هريرة وعبد الله بن السائب وعبد الله بن عياش بن أبي
ربيعة وأبو عبد الرحمن السلمي ... شهد بدرًا والمشاهد كلها ومناقبه كثيرة ... وقال حماد بن سلمة عن عاصم
الأحول عن أبي قلابة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أقرؤهم أبي بن كعب هذا مرسل جيد وقال ابن
أبي مليكة سمعت ابن عباس يقول قال عمر رضي الله عنه أفضانا علي وأقرؤنا أبي توفي بالمدينة قال ابن
معين سنة عشرين أو تسع عشرة وقال الواقدي ومحمد بن عبد الله بن نمير ومحمد بن يحيى والترمذي سنة اثنتين
وعشرين ينظر معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تأليف: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز
الذهبي أبو عبد الله: ج ١/ص ٢٨، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٤، الطبعة: الأولى، تحقيق:
بشار عواد معروف، شعيب الأرناؤوط، صالح مهدي عباس

(٢) ينظر تفسير الفخر الرازي مفاتيح الغيب من القرآن الكريم للإمام محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي
المعروف بالفخر الرازي أبو عبد الله فخر الدين: ١/٣١٥٤ ط / دار إحياء التراث العربي وينظر معجم القراءات
للدكتور عبد اللطيف الخطيب: ٦/٣٨ طبعة دار سعد الدين الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م دمشق - سوريا

(٣) سورة آل عمران: آية ٣٠

(٤) تفسير الثعالبي: ١/٢٥٦

(٥) مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار أبو محمد القيسي النحوي المقرئ صاحب الإعراب . ولد
في شعبان سنة خمس وخمسين وثلاثمائة، وأصله من القبروان، وسكن قرطبة، وسمع بمكة ومصر من أبي
الطيب عبد المنعم بن غلبون، وقرأ عليه القرآن؛ وكان من أهل التبحر في علوم القرآن والعربية، حسن الفهم
والخلق، جيد الدين والعقل، كثير التأليف، مجوداً للقرآن. أقرأ بجامعة قرطبة، وخطب به؛ وانتفع به جمع،

وكذلك الحال أيضا مع الإمام الصفاقسي؛ حيث يذكر الإمام الثعالبي نقلا عن الإمام الصفاقسي: أن كلمة (أهل) في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(١) منصوبة، إما على النداء، أو المدح، أو الاختصاص^(٢)، ثم يذكر: أن الإمام ابن هشام يستصوب نصبه على النداء^(٣)، واثار الإمام ابن هشام واضح هنا كل الوضوح حيث أنه بالرغم من نقله من كتاب (إعراب القرآن) للإمام الصفاقسي، الذي لخصه من البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي^(٤)

وعظم اسمه، واشتهر بالصلاح وإجابة الدعوة، مات في المحرم سنة سبع وثلاثين وأربعمائة. ينظر بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ولد ٨٤٩ هـ/ توفي ٩١١ هـ: ٢٩٨/٢، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة المكتبة العصرية، لبنان - صيدا وعبارة الثعالبي فيها بعض اختصار، ونص ابن هشام: (زعم في: ﴿يَوْمَ تَجِدُ﴾ سورة آل عمران: آية ٣٠، إنه ظرف ليحذركم حكاه مكي قال وفيه نظر والصواب الجزم بأنه خطأ لأن التحذير في الدنيا لا في الآخرة ولا يكون مفعولا به ل ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ﴾ سورة آل عمران: آية ٣٠ كما في: ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ﴾ سورة غافر: آية ١٨؛ لأن يحذر قد استوفى مفعوليه، وإنما هو نصب بمحذوف تقديره: اذكروا، أو احذروا... ينظر مغني اللبيب: ٥٠٧. ولزيادة التفصيل ينظر الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للإمام شهاب الدين أبي العباس بن يوسف ابن محمد بن إبراهيم المعروف بالسمين الحلبي: ٦٢/٢، ٦٣ تحقيق الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود والدكتور جاد مخلوف جاد والدكتور زكريا عبد المجيد النوتي طبعة دار الكتب العلمية ط/١ ١٤١٤ هـ- ١٩٩٤ م بيروت- لبنان

(١) ﴿وَقَرَنَ فِي بُيُوتِكُمْ وَلَا تَرْجِعْ تَرْجُعَ الْجَهْلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمَنَّ الصَّلَاةَ وَآتَيْنَكَ الزَّكَاةَ وَأَطَعَنَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ سورة الأحزاب: آية ٣٣

(٢) ينظر تفسير الثعالبي: ٢٢٨/٣

(٣) المصدر نفسه: ٢٢٨/٣ وينظر مغني اللبيب: ٥١٨

(٤) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الإمام أثير الدين أبو حيان الأندلسي الغرناطي النفزي، نسبة إلى قبيلة من البربر، نحوي عصره ولغوي ومفسره ومحدثه ومقرئه ومؤرخه وأديبه، ولد بمطخشارش، مدينة من حضرة غرناطة في آخر شوال سنة أربع وخمسين وستمائة وكان ثبنا قيما عارفا باللغة؛ وأما النحو والتصريف فهو الإمام المطلق فيهما، خدم هذا الفن أكثر عمره؛ حتى صار لا يدركه أحد في أقطار الأرض فيهما غيره. وله اليد الطولى في التفسير والحديث، وتراجم الناس ومعرفة طبقاتهم، خصوصا المغاربة، وأقرأ الناس قديماً وحديثاً، وألحق الصغار بالكبار، وصارت تلامذته أئمة وأشياخاً في حياته، تولى تدريس التفسير بالمنصورية، والإقراء بجامع الأقرم، مات في ثامن عشرين صفر سنة خمس وأربعين وسبعمائة. ينظر بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ت ٩١١ هـ: ٢٨٠/١ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر المكتبة العصرية، لبنان / صيدا

مع ذلك فهو يميل إلى الأخذ برأي الإمام ابن هشام في توجيهه لمعنى الآية الكريمة

تسليم الإمام الثعالبي للإمام ابن هشام في تقرير معاني حروف المعان .

في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ نَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ ﴾^(١) رأيان أحدهما، وهو الظاهر من الآية أن (من) بيانية لبيان الجنس، أي بينوا، وظهروا لنا ما خلقه شركاءكم من المخلوقات، التي تتكون من ماهية الأرض، وهي التراب، والثاني: هو أن (من) بمعنى (في) أي: فليظهروا أي شيء خلقوه في الأرض، وهو اعم من الأول، ولكن عبارة ابن هشام التي نقلها الثعالبي تفيد ترجيحها لمعنى (من) البيانية، والإمام الثعالبي يكتفي بنقل نص ابن هشام من المغني دون تعقيب منه على كلامه وهذا يفيد انه مسلم بما رآه ابن هشام صواباً^(٢).

يذكر الإمام الثعالبي تفسير قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ أُوتِيَ كَفْلاً مُبِيناً ﴾^(٣) ل (شرح الصدر)، وما المقصود ب (النور)، وماهية (القسوة) في الآية الكريمة، بالمأثور عن النبي (صلى الله عليه وسلم)^(٤)، ثم يذكر توجيه ابن هشام للآية الكريمة؛ وذلك لأن المعنى الظاهر: هو أن ذكر الله تعالى لا يكون سبباً لقسوة القلب؛ بل على العكس من ذلك، و به نطق القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾^(٥)

(١) ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ نَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ ءَاتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنَّ عِدَّ الْأَظْلَمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴾ سورة فاطر: آية ٤٠

(٢) ينظر تفسير الثعالبي ٢٦٠/٣ وينظر مغني اللبيب ٣١٦ ونص ابن هشام فيه: (الثامن مرادفة (في) نحو: ﴿ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ ﴾ سورة الأحقاف: آية ٤، ﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ﴾ سورة الجمعة: آية ٩، والظاهر أنها في الأولى لبيان الجنس مثلها في: ﴿ مَا نَسَخَ مِنْ ءَايَةٍ ﴾ سورة البقرة: آية ١٠٦ .

(٣) سورة الزمر: آية ٢٢

(٤) ينظر تفسير الثعالبي ٥٣/٤

(٥) ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمِئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ سورة الرعد: آية ٢٨

، فينقل الإمام الثعالبي عن ابن هشام توجيهه للآية الكريمة فيقول: (قال ابن هشام: قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (من) هنا مرادفة (عن) ، وقيل: هي للتعليل ، أي من أجل ذكر الله ؛ لأنه إذا ذكر الله قست قلوبهم عيادا بالله ، وقيل: هي للابتداء انتهى من المغنى. (١) ، فالقول بمرادفة (عن) يدفع هذا الإشكال ، ويكون المعنى واضحا ، وابن هشام يميل إلى القول بالمرادفة أكثر من الرأيين الآخرين ؛ وذلك لذكره مقدما عليهما أولا ، وثانيا لكون الرأيين الآخرين صدرهما ب (قيل) ، ووجه تأثر الإمام الثعالبي ظاهر حيث انه أورد كلام الإمام ابن هشام دون اعتراض أو رد أو مناقشة والله اعلم.

وفي كلام الإمام الثعالبي على سورة الجمعة يذكر تفسير قوله تعالى منها: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢) ؛ حيث يذكر الآثار الواردة في تفسيرها ، ثم يذكر كلام الامام ابن هشام في تأويل (من) أنها مرادفة ل (في) (٣) ، ولا يعقب الإمام الثعالبي على كلام الامام ابن هشام ؛ بل ينقاد انقيادا تاما لأقواله ، وهذا يدل دلالة قاطعة على مدى اثر الامام ابن هشام العميق في الإمام الثعالبي .

المبحث الثالث : الإمام أبو الشاء الألوسي (٤)

(١) تفسير الثعالبي ٥٣/٤ ونص ابن هشام في المغني: ٣١٥ ، (السادس مرادفة عن نحو: ﴿قَوْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ سورة الزمر: آية ٢٢، ﴿يَتَوَلَّوْنَكَ قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ سورة الأنبياء: آية ٩٧ وقيل هي في هذه للابتداء لتفيد أن ما بعد ذلك من العذاب أشد وكأن هذا القائل يعلق معناها بويل مثل: ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ سورة ص: آية ٢٧ ، ولا يصح كونه تعليقا صناعيا للفصل بالخبر ، وقيل: هي فيهما للابتداء ، أو هي في الأولى للتعليل ، أي من أجل ذكر الله ؛ لأنه إذا ذكر الله قست قلوبهم

(٢) سورة الجمعة: آية ٩

(٣) ينظر تفسير الثعالبي ٣٠٠/٤ ، ومغني اللبيب ٣١٦

(٤) الألوسي الكبير (١٢١٧ - ١٢٧٠ هـ = ١٨٠٢ - ١٨٥٤ م) محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي ، شهاب الدين ، أبو الشاء: مفسر ، محدث ، أديب ، من المجددين ، من أهل بغداد ، مولده ووفاته فيها . كان سلفي الاعتقاد ، مجتهدا . تقلد الإفتاء ببلده سنة ١٢٤٨ هـ . وعزل ، فانقطع للعلم . ثم سافر (سنة ١٢٦٢ هـ) إلى الموصل ،

اهتمام الإمام الألوسي برأي الإمام ابن هشام في حروف المعاني .

يذكر الإمام الألوسي رأي ابن هشام في (من) الثانية من قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيَوْمَ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾^(١) انه أجاز أن تكون نكرة موصوفة بتقدير العهد ، و موصولة بتقدير الجنس في (أل) التعريف من (الناس)^(٢) ، ويبني على هذين التقديرين انه إذا كانت نكرة موصوفة يكون المعنى: (فريق) ، وإذا كانت موصولة يكون المعنى: ومن الناس الذي يقول، والقول بالنكرة الموصوفة فيه إبهام^(٣)؛ فيكون المعنى عاما ، وأما القول بالموصولة ، فهذا يدل على نفر من الناس نزلت بحقهم هذه الآيات ، وإذا رجعنا إلى أسباب النزول وجدنا أن الآية نزلت في منافقي الأوس، والخزرج^(٤) ، وهذا دليل قوي لمن رجح أن تكون (من) موصولة^(٥) ؛

فالأستانة، وممر بماردين وسيواس، فغاب ٢١ شهرا وأكرمه السلطان عبد المجيد، وعاد إلى بغداد يدون رحلاته ويكمل ما كان قد بدأ به من مصنفاته، فاستمر إلى أن توفي. الأعلام للزركلي: ١٧٦/٧

(١) سورة البقرة: آية ٨

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للإمام العلامة محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، شهاب الدين، أبو الثناء:

١ / ١٤٣ ، دار إحياء التراث العربي - بيروت

(٣) لدر المصون في علم الكتاب المكنون للإمام : أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى : ٥٦٧هـ) : ٨١ / ١

(٤) قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيَوْمَ الْآخِرِ﴾ سورة البقرة: آية ٨ ، تقدم قول مجاهد: إنها و تمام ثلاث عشرة آية نزلت في النافقين انتهى. و قال أبو العالية، و الحسن البصري ، و قتادة ، و السدي نحوه ، وقال الطبري: أجمعوا على أنها نزلت في قوم من أهل النفاق. و قال ابن إسحاق في روايته: هم المنافقون من الأوس والخزرج ، قلت: و سرد ابن إسحاق أسماءهم في أوائل الهجرة من السيرة النبوية، و رجح أبو حيان أنها نزلت في قوم معينين؛ لأن الله تعالى حكى عنهم أقوالا معينة قالوها فلا يكون ذلك صادرا إلا من معين) العجائب في بيان الأسباب، تأليف: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي ١ / ٢٣٢، ٢٣٣ : ، دار النشر: دار ابن الجوزي - السعودية - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس .

(٥) وهو أبو حيان قاله في البحر المحيط: ١ / ١٨٢ ، تفسير البحر المحيط، تأليف: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق (١) د. زكريا عبد المجيد النوقي (٢) د. أحمد النجولي الجمل

إلا أن القاعدة الأصولية التي عليها الأصوليون من أهل السنة والجماعة، هي أن العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب^(١)، فعليه لا يعول كثيرا على سبب النزول في حصر المعنى بمن نزل بهم القرآن الكريم بقدر ما هو إيضاح المعنى، مادام الأمر متعلقا بمعنى النص القرآني الكريم، ويرأيي أجد: أن هذا هو ما حمل ابن هشام على القول بالرأيين من: جواز أن تكون موصولة بتقدير، ونكرة موصوفة بتقدير، وعدم رده لأحد الرأيين^(٢) و الله اعلم .

ونجده مستشهدا بكلام الإمام ابن هشام على صحة المعنى الذي يذهب إليه؛ ففي كلامه على قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرِيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَّتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾^(٣) يذكران (أو) عاطفة تفيد التنويع، وإن ما بعدها حال معطوف على الحال (بيات)، وإن في الجملة حذف ل (واو) الحال قبل (هم)، والحامل على الحذف: هو استئصال الجمع بين حرفي العطف، فحذف الثاني؛ إلا أن الحذف هنا جاء اعتراض عليه، وهو: أن الواو الحالية مغايرة للعاطفة بكل حال، فلم لا يجوز اجتماعهما،

(١) ينظر الفصول في الأصول، تأليف: أحمد بن علي الرازي الجصاص: ٩٩/١، دار النشر: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت - ١٤٠٥، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. عجيل جاسم النشمي، وأصول السرخسي، تأليف: محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي أبو بكر: ١٦٤/١، دار النشر: دار المعرفة - بيروت، وإعلام الموقعين عن رب العالمين، تأليف: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي: ١٠٨/٤، دار النشر: دار الجيل - بيروت - ١٩٧٣، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد

(٢) ينظر مغني اللبيب: ٥٣٣، ٣٢١ إلا أن ابن هشام أشار إلى ضعف الرأي القائل بالنكرة الموصوفة ورد على من ضعف أن تكون (من) موصولة فقال في صفحة ٣٢١، ٣٢٢: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ فجزم جماعة بأنها موصوفة وهو بعيد لقلّة استعمالها، وآخرون بأنها موصولة، وقال الزمخشري: إن قدرت أل في الناس للعهد فموصولة مثل: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ سورة التوبة: آية ٦١، أو للجنس فموصوفة مثل: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ﴾ سورة الأحزاب: آية ٢٣، ويحتاج إلى تأمل ()، وقال في صفحة ٥٣٣: (مسألة: إذا قلت أعجبتني من جاءك، احتتم كون من موصولة، أو موصوفة، وقد جوزا في ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ﴾ وضعف أبو البقاء الموصولة؛ لأنها تتناول قوما بأعيانهم والمعنى على الإبهام، وأجيب بأنها نزلت في عبد الله بن أبي وأصحابه ()

(٣) سورة الأعراف: آية ٤

ونقل عن بعض النحاة: أن الضمير (هم) مغني عن إضمار الواو، والاكتفاء به غير شاذ، وبعد هذا الكلام يستشهد بكلام ابن هشام حيث يقول: (وقال ابن مالك^(١))، وتبعه ابن هشام، ونقل عن السكاكي^(٢): إنه إذا كانت الجملة الاسمية مؤكدة لزم الضمير، وترك الواو نحو: هو الحق لا شبهة فيه، ﴿وَذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٣)، ومعلوم أن الإمام ابن هشام له استقلالية في آرائه النحوية، لا يقلد أحدا من النحاة؛ فإن كان هنا موافقا لنحاة آخرين فهذا بعد ثبوت صحة ما ذهبوا إليه، وإلا فهو لا يسلم لأحد برأيه.

ونجد موقفاً آخرًا للإمام الألوسي وهو: أنه يستشهد بكلام الإمام ابن هشام، وصرح باسمه؛ ولكنه لا يشير لاسمه أحياناً، ويشعر القارئ أنه من كلام الإمام الألوسي، والواقع خلافه، ففي كلامه على قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾^(٤) يذكر معنى (بلى): حيث أنها حرف جواب، وتختص

(١) محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك العلامة جمال الدين أبو عبد الله الطائي الجباني الشافعي النحوي نزيل دمشق إمام النحاة وحافظ اللغة قال الذهبي ولد سنة ستمائة أو إحدى وستمائة بغية الوعاة وسمع بدمشق... وتصدر بها لإقراء العربية وصرف همته إلى إتقان لسان العرب حتى بلغ فيه الغاية وحاز قصب السبق وأرعى على المتقدمين وكان إماماً في القراءات وعللها وأما اللغة فكان إليه المنتهى... توفي ابن مالك ثاني عشر شعبان سنة اثنتين وسبعين وستمائة. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: ١/١٣٤، ١٣٠، تأليف: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار النشر: المكتبة العصرية - لبنان / صيدا، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم

(٢) رأيت ترجمته بخط الشيخ سراج الدين بن البلقيني فقال يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي أبو يعقوب السكاكي سراج الدين الخوارزمي إمام في النحو والتصريف والمعاني والبيان والاستدلال والعروض والشعر وله النصيب الوافر في علم الكلام وسائر الفنون ومن رأى مصنفه علم تبحره ونبله وفضلها توفي بخوارزم سنة ست وعشرين وستمائة وذكر غيره أنه ولد سنة خمس وخمسين وخمسمائة. بغية الوعاة: ٢/٣٦٤

(٣) روح المعاني ٨/٨٠ و نص كلام ابن هشام مار الذكر في أوضح المسالك حيث يقول: (وتمنع في سبع صور) (أي الواو) إحداها الواقعة بعد عاطف؛ نحو: ﴿فَجَاءَهَا بِأُسْتَايَتًا أَوْ هُمْ قَالُوا لَوْ﴾ الثانية: المؤكدة لمضمون الجملة؛ نحو: (هو الحق لا شك فيه)، و: ﴿وَذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ سورة البقرة: آية ٢ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك تأليف جمال الدين عبد الله بن هشام الانصاري ٧٦١: ١/٤٥٨، ٤٥٩ ط/دار ابن كثير الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م دمشق - بيروت

(٤) سورة الأعراف: آية ١٧٢

بالنفي، فلا تقع إلا في جوابه فتقيد إبطاله سواء كان مجردا، أو مقرونا بالاستفهام حقيقيا كان، أو تقريرا، وقد أجروا النفي مع التقرير مجرى النفي المجرد في رده ببلى كما في هذه الآية: ويقول: (وتختص بالنفي فلا تقع إلا في جوابه فتقيد إبطاله سواء كان مجردا، أو مقرونا بالاستفهام حقيقيا كان، أو تقريرا وقد أجروا النفي مع التقرير مجرى النفي المجرد في رده ببلى كما في هذه الآية^(١))، ولذلك قال ابن عباس، وغيره لو قالوا: نعم لكفروا، ووجهه أن نعم تصديق للمخبر بنفي، أو إيجاب؛ ولذلك قال جماعة من الفقهاء: لو قال أليس لي عليك ألف فقال: بلى لزمته، ونعم لا، وقال آخرون: تلزمه فيهما، وجروا فيه على مقتضى العرف لا اللغة، ونزع السهيلي، وجماعة في المحكي عن الحبر، وغيره متمسكين بأن الاستفهام التقريري موجب، ولذلك امتنع سيبويه من جعل أم متصلة على ما قيل في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا بُصِرُونَ﴾^(٥١) أم أنا خير من^(٢)، فإنها لا تقع بعد الإيجاب وإذا ثبت أنه إيجاب فنعم بعد الإيجاب تصديق له^(٣)، ثم يأتي بنص الإمام ابن هشام الذي يرد فيه على السهيلي^(٤)، وأصحابه ويصرح باسم ابن هشام حيث يقول: (قال ابن هشام: ويشكل عليهم أن بلى لا يجاب بها الإيجاب، وذلك متفق عليه، و﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَكَ ءَايَتِي﴾^(٥) متقدم فيه ما يدل على النفي؛ لكن وقع في الحديث ما يقتضي أنها يجاب بها

(١) ينظر روح المعاني: ٩ / ١٠١

(٢) ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَبْقَوْمُ آلَيْسَ لِي مَلِكٌ وَمَهْذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا بُصِرُونَ﴾^(٥١) أم أنا خير من
هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ سورة الزخرف: الآيات ٥١ - ٥٢

(٣) المصدر السابق: ٩ / ١٠١

(٤) عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أصبغ بن حبيش ابن سعدون بن رضوان بن فتوح الإمام أبو زيد وأبو القاسم السهيلي الخنعمي الأندلسي المالقي الحافظ قال ابن الزبير: كان عالما بالعربية واللغة والقراءات، بارعا في ذلك، جامعا بين الرواية والدراية، نحويا متقما، أدبيا، عالما بالتفسير وصناعة الحديث، حافظا للرجال والأنساب، عارفا بعلم الكلام والأصول، حافظا للتاريخ، واسع المعرفة، غزير العلم، نبيا ذكيا، صاحب اختراعات واستنباطات. تصدر للإقراء والتدريس، وبعد صيته، ...، وكف بصره وهو ابن سبع عشرة سنة، توفي ليلة الخميس خامس عشرين شوال سنة إحدى وثمانين وخمسمائة. بغية الوعاة: ٨١/٢

(٥) سورة الزمر: آية ٥٩

الاستفهام المجرد ففي صحيح البخاري، أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لأصحابه : (أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة، قالوا : بلى) ^(١)، وفي صحيح مسلم: أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال: (أنت الذي لقيتني بمكة فقال له المجيب: بلى) ^(٢)، وليس لهؤلاء أن يحتجوا بذلك؛ لأنه قليل، فلا يخرج عليه التنزيل انتهى ^(٣)، والنصان اللذان ذكرهما الإمام الألوسي في تفسيره هما في مغني اللبيب بتمامهما، من كلام الإمام ابن هشام ^(٤)، وهذا عندي تأثر واضح، وذلك لواحد من أمور: الأول، إما أن يكون الحامل للإمام الألوسي على هذا: توافق الأفكار بين الإمامين؛ وذلك لا يأتي من فراغ فالإمام الألوسي له حاشية على قطر الندى، ولا بد أن يكون متأثراً بالإمام ابن هشام في كتبه، والأمر الثاني: هو أن يكون الحامل على ذلك جودة كلام ابن هشام في هذا المسألة؛ فكان ذلك حاملاً له على عدم ذكر اسم ابن هشام، وهذا استبعده تماماً، فهذا لا يصدر عن جبل العلم والورع والتقوى كالإمام الألوسي رحمه الله تعالى، وإما هو شأن البشر من النسيان الذي لا يسلم منه مخلوق ولو سلم احد لسلم منه ادم عليه السلام أبو البشر ^(٥).

(١) صحيح البخاري: كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث ٦٢٦٦: ٢٤٤٨/٦ من طبعة: دار ابن كثير، اليمامة - بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٧، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا

و اسم صحيح البخاري هو (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه) ينظر ص ١١ من كتاب (تحقيق اسمي الصحيحين واسم جامع الترمذي) تأليف العلامة المحقق الشيخ الدكتور عبد الفتاح أبو غدة ط ١ / ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م نشر مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب

(٢) صحيح مسلم، تأليف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري: كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب إسلام عمرو بن عبسة رقم الحديث ٨٣٢: ٥٧٠/١، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. و اسم صحيح مسلم هو (المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) ينظر المصدر السابق: ٢٣

(٣) روح المعاني: ٩ / ١٠١

(٤) ينظر مغني اللبيب: ١٢٢، ١٢٣

(٥) ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسَىٰ وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ سورة طه: آية ١١٥

أخذ الإمام الألوسي برأي الإمام ابن هشام وتقديمه على آراء العلماء من المفسرين .

يذكر الإمام الألوسي الوجه الراجح ل(لما) من قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنَّا لَمَّا لِيُؤْفِقَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(١)، وهو أن لما هذه هي الجازمة حذف فعلها المجزوم لدلالة المعنى عليه، وبعد أن يذكر آراء العلماء في توجيهها، ويذكر: أن التقدير لفعلها المجزوم المحذوف هو: (إن كلا لما ينقص من جزاء عمله)^(٢)، وهذا رأي الإمام ابن الحاجب^(٣)، وتابعه على هذا الرأي، الإمام أبو حيان الأندلسي^(٤)؛ إلا أن الإمام الألوسي يعترض على هذا التقدير، ويذكر: أن الأولى هو أن يقدر: (لما يوفوا أعمالهم) أي: إلى الآن لم يوفوها وسيوفونها^(٥)، ثم يذكر: أن هذا هو ما ذهب إليه الإمام ابن هشام الأنصاري^(٦)، ثم يذكر تعليلاً لما ذهب إليه الإمام الإمام ابن هشام حيث يقول: (لما يلزم على التقديرات السابقة على ما هو المشهور في معنى (لما) أنهم سينقصون من جزاء أعمالهم، وأنهم سيتركون، ويهملون، وذلك بمعزل عن أن يراد، وهو ظاهر، وهذا وجه النظر الذي عناه ابن هشام في قوله

(١) سورة هود: آية ١١١

(٢) روح المعاني: ١٥٠/١٢

(٣) ابن الحاجب (٥٧٠ - ٦٤٦ هـ = ١١٧٤ - ١٢٤٩ م)

عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب: فقيه مالكي، من كبار العلماء بالعربية. كردي الأصل. ولد في أسنا (من صعيد مصر) ونشأ في القاهرة، وسكن دمشق، ومات بالإسكندرية. وكان أبوه حاجباً فعرف به. الأعلام للزركلي: ٤/ ٢١١ ورأيه في الأمالي النحوية لابن الحاجب: ٦٨/١ تحقيق هادي حسن حمودي نشر مكتبة عالم الكتب، ط/١، ١٩٨٥. وينظر مغني اللبيب: ٣/ ٤٩٤ تحقيق د. عبد اللطيف محمد الخطيب نشر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ط/١ الكويت ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

(٤) ينظر تفسير البحر المحيط: ٥/ ٢٦٧

(٥) روح المعاني: ١٥٠/١٢

(٦) ينظر مغني اللبيب: ٢٧٩، ٢٨٠

معتزلاً على ابن الحاجب : وفي هذا التقدير نظر ^(١) ، ووجه التأثير ظاهر ، حيث أن الإمام الألوسي يذكر تقدير الإمام أبي حيان الذي وافق فيه ابن الحاجب ، ومعلوم أن الرأي الذي يجتمع عليه هذان الجبلان الجليلان ليس من السهل العدول عنه إلى غيره ، ولكن هذا ما فعله الإمام الألوسي عندما اخذ بتقدير الإمام ابن هشام وقدمه على رأيهما .

يسوق الإمام الألوسي الأحاديث ، والآثار التي تبين معنى (الورود) ويبين القسم الذي في الآية من قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ ^(٢) حيث يذهب إلى أنه دخول النار لا فرق في ذلك بين المؤمنين ، والكافرين ؛ إلا أن الله تعالى ينجي المؤمنين ويذر الكافرين خالدين فيها ^(٣) ، وأن دخول النار حتم يوجبه القسم ، ثم يذكر آراء العلماء من المفسرين ، والمحدثين في هذه المسألة ، ويسوق الأدلة من الكتاب ، والسنة على ذلك ^(٤) ، ثم يأتي بتوجيه الإمام ابن هشام للآية حيث يقول: (وجعل ابن هشام تحله القسم كناية عن القلة وقد شاع في ذلك ومنه قول كعب ^(٥)): (تخذي على يسرات وهي لاحقة... ذوايل مسهن الأرض تحليل) ^(٦)؛ فإن المعنى مسهن الأرض قليل، كما يحلف الإنسان على شيء ليفعله فيفعل منه اليسير ليتحلل به من قسمه ، ثم قال: إن فيما قاله جماعه من المفسرين من أن القسم على

(١) المصدر السابق: ١٢ / ١٥٠

(٢) سورة مريم: آية ٧١

(٣) ينظر روح المعاني: ١٦ / ١٢٣

(٤) ينظر المصدر نفسه: ١٦ / ١٢١-١٢٢-١٢٣

(٥) (٢٦ - ٠٠٠ هـ = ٦٤٥ - ٠٠٠ م) كعب بن زهير بن أبي سلمى

المازني، أبو المضرب: شاعر عالي الطبقة، من أهل نجد، له " ديوان شعر - ط " كان ممن اشتهر في الجاهلية. ولما ظهر الإسلام هجا النبي صلى الله عليه وآله وأقام يشيب بنساء المسلمين، فهدر النبي دمه، فجاءه " كعب " مستأمناً، وقد أسلم، وأنشده لاميته المشهورة التي مطلعها: " بانئت سعاد فقلبي اليوم متبول " فعفا عنه النبي صلى الله عليه وآله وخلع عليه برده. وهو عن أعرق الناس في الشعر: أبوه زهير بن أبي سلمى، وأخوه بجير، وابنه عقبة وحفيده العوام، كلهم شعراء. الأعلام للزركلي: ٥ / ٢٢٦

(٦) من قصيدة بانئت سعاد لكعب بن زهير بشرح ابن هشام : ٢١١ تحقيق محمود حسن أبو ناجي طبع مؤسسة علوم الفران دمشق - بيروت

الأصل، وهو إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾^(١) الخ نظراً؛ لأن الجملة لا قسم فيها إلا أن عطفت على الجمل التي أجيب بها القسم من قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾^(٢) إلى آخرها، وفيه بعد انتهى^(٣)، من جهة أن الواو عاطفة على جواب القسم، وهنا أقول: إن الإمام الألوسي اخذ بفهم الإمام ابن هشام للنص، وهو أن الآية ليست نصاً في تعذيب كل من يدخل النار من المسلمين، بل قصارى ما في الأمر هو تحليل القسم، وهو يتأدى بمجرد الدخول، وهذا على قول من قال إن في الآية قسم، وقد مر أن الإمام ابن هشام يستضعف هذا الرأي لبعده عن الجمل التي أجيب بها القسم، وسبب اخذ الإمام الألوسي برأي ابن هشام كونه له دليله من السماع عن العرب كما مر قبل قليل من قول كعب بن زهير، وهذا يستقيم مع ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾^(٤)، والآثار الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم من أن هناك من لا يدخل النار^(٥)، فإذا

(١) سورة مريم: آية ٦٨

(٢) روح المعاني: ١٦ / ١٢٣ ونص ابن هشام المنقول آنفاً هو من شرحه على قصيدة بانث سعاد: ٢١١ - ٢١٢ - ٢١٣ - ٢١٤. إلا أن ابن هشام جعل الآية تحتل جواب القسم وإن الواو تقدر بأنها عاطفة على:

﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلًا﴾ سورة مريم: آية ٧٠، فإنها وما قبلها أجوبة لقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثًا﴾^(٦) ثم لنزعت من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عينا^(٧) ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صلياً^(٨) وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً^(٩) سورة مريم: آية ٦٨ - ٧١ وهو مقصود ابن عطية بقوله: هو قسم، والواو تقتضيه، أي جواب القسم و (الواو) هي المحصلة لذلك لأنها عطفت. ينظر مغني اللبيب: ٣٨٨

(٣) سورة الأنبياء: آية ١٠١

(٤) كما في حديث السبعين ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب: (حدثنا عمران بن ميسرة حدثنا بن فضالٍ حدثنا حصين قال أبو عبد الله وحديثي أسيد بن زيد حدثنا هشيم عن حصين قال كنت عند سعيد بن جبيل فقال حدثني بن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: عُرِضَتْ عَلَى الْأُمَمِ فَأُجِدَ النَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الْأُمَةُ وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ النَّفَرُ وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الْعَشْرَةُ وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الْخُمْسَةُ وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ وَحْدَهُ فَتَنْظَرُتُ فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ قُلْتُ يَا جَبْرِيلُ هَؤُلَاءِ أُمَّتِي قَالَ لَا وَلَكِنْ انْظُرِي إِلَى الْأَفُقِ فَتَنْظَرُتُ فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ قَالَ هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ وَهَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا قَدْ آمَهُمْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا عَذَابَ قُلْتُ وَلَمْ قَالَ كَانُوا لَا يَكْتُوبُونَ وَلَا يَسْتَرْفُونَ وَلَا يَنْطَبِرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَنْتَوَكِّلُونَ فَقَامَ إِلَيْهِ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ فَقَالَ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَني منهم قال اللهم اجْعَلْهُ منهم ثم قام إليه رجل آخر قال ادْعُ

، فإذا تحلل القسم جاز أن يقال إن الدخول للنار ليس المقصود فيه العذاب على وجه العموم بل متحقق بحق البعض الذين استثنتهم الآية التالية وهي قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُجِى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثَّتًا ﴾^(١) دون الآخرين، مع أن الإمام الألوسي ينقل رأي الإمام أبي حيان^(٢)؛ إلا أنه يذكر رأي الإمام ابن هشام على وجه التوجيه لمعنى الآية الكريمة، وأن كان الإمام أبو حيان ذكر توجيهه للآية في تفسيره البحر المحيط^(٣).

يتكلم الإمام الألوسي على قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾^(٤) مبينا أنها لإبطال تعدد الإله ، وقد صرح غير واحد من المفسرين أن المعنى لو كان فيهما آلهة غير الله^(٥)؛ ويستدل على ذلك بكلام الإمام ابن هشام على أن (إلا الله) صفة مؤكدة لما قبل إلا ، وهو الجمع المنكر (آلهة) ، وأن (إلا) بمعنى (غير) في الآية الكريمة حيث يقول: (إلا) لمغايرة ما بعدها لما قبلها فهي بمنزلة غير، وفي (المغني) أنها تكون صفة بمنزلة غير فيوصف بها وبالتاليها جمع منكر، أو شبهه ، ومثل للأول بهذه الآية^(٦) ، ويقول أيضا في كلامه على نفي كون (إلا) تفيد الاستثناء ، والبدل: (أن التفرغ ، والبدل بعد (لو) غير جائز ، وكذا لا يصح الاستثناء من جهة المعنى ففي الكشف^(٧) : أن البدل ، والاستثناء في

اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ قَالَ سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ (صحيح البخاري : ٢٣٩٦/٥ رقم الحديث ٦١٧٥ بترقيم البغا ، كتاب الرقاق ، باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب .

(١) سورة مريم: آية ٧٢

(٢) ينظر روح المعاني : ١٦ / ١٢٣

(٣) ينظر البحر المحيط : ٦ / ١٩٧

(٤) سورة الأنبياء: آية ٢٢

(٥) ينظر روح المعاني : ١٧ / ٢٣

(٦) المصدر نفسه : ١٧ / ٢٣

(٧) حاشية على الكشف في مجلد واحد اسمه (الكشف على الكشاف) للإمام عمر بن عبد الرحمن بن عمر البهبهائي الكناي القزويني الفارسي المتوفى ٧٤٥ هـ مفسر مشارك في بعض العلوم مات عن سبع أو ثمان

الآية ممتنعان معنى؛ لأنه إذ ذاك لا يفيد ما سيق له الكلام من انتقاء التعدد، ويؤدي إلى كون الآلهة بحيث لا يدخل في عدادهم الإله الحق مفض إلى الفساد فنفي الفساد يدل على دخوله فيهم^(١)، وهو من الفساد بمكان، ثم أن الصفة على ما ذهب إليه ابن هشام مؤكدة صالحة للإسقاط مثلها في قوله تعالى: ﴿نَفَخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾^(٢) فلو قيل لو كان فيهما آلهة لفسدنا لصح، وتأتى المراد^(٣) وإذا كان الإمام الألوسي يذكر

وثلاثين سنة . ينظر معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر تأليف عادل نويهض: ١/ ٣٩٦
نشر مؤسسة نويهض الثقافية ط/٣ ، ١٤٠٩ هـ _ ١٩٨٨ م.

(١) أي انه في حالة كون هناك آلهة والذات الإلهية ليست معهم كان هناك الفساد وفي حال وجود الذات الإلهية معهم يكون الفساد متحققا أيضا
(٢) سورة الحاقة : آية ١٣

(٣) المصدر نفسه : ١٧ / ٢٤ وقد عقد الإمام ابن هشام كلاما نفيسا في تحقيق معنى إلا في الآية الكريمة رأيت أن أسوقه بتمامه لنفاسته فهو جدير بان يكتب بماء الذهب يقول ابن هشام : (الثاني أن تكون صفة بمنزلة غير فيوصف بها وبنايلها جمع منكر أو شبهه فمثال الجمع المنكر: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهِ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ سورة الأنبياء: آية ٢٢، فلا يجوز في إلا هذه أن تكون للاستثناء من جهة المعنى إذ التقدير حينئذ: لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله لفسدنا، وذلك يقتضي بمفهومه: أنه لو كان فيهما آلهة فيهم الله لم تفسدا، وليس ذلك المراد، ولا من جهة اللفظ؛ لأن آلهة جمع منكر في الإثبات فلا عموم له، فلا يصح الاستثناء منه، فلو قلت: قام رجال إلا زيدا لم يصح اتفاقا، وزعم المبرد: أن إلا في هذه الآية للاستثناء، وأن ما بعدها بدل محتجا بأن لو تدل على الامتناع وامتناع الشيء انتفاؤه، وزعم: أن التفرغ بعدها جائز، وأن نحو لو كان معنا إلا زيد أجود كلام، ويرده أنهم لا يقولون: لو جاعني ديار أكرمته، ولا لو جاعني من أحد أكرمته، ولو كانت بمنزلة النافي لجاز ذلك كما يجوز ما فيها ديار، وما جاعني من أحد، ولما لم يجز ذلك دل على أن الصواب قول سيبويه: إن إلا وما بعدها صفة، قال الشلوبين وابن الضائع: ولا يصح المعنى حتى تكون إلا بمعنى غير التي يراد بها البدل والعوض، قالوا: وهذا هو المعنى في المثال الذي ذكره سيبويه توطئة للمسألة وهو لو كان معنا رجل إلا زيد لغلبنا أي: رجل مكان زيد، أو عوضا من زيد انتهى. قلت: وليس كما قالوا بل الوصف في المثال وفي الآية مختلف، فهو في المثال مخصص مثله في قولك: جاء رجل موصوف بأنه غير زيد وفي الآية مؤكد مثله في قولك: متعدد موصوف بأنه غير الواحد، وهكذا الحكم أبدا إن طابق ما بعد إلا موصوفها فالوصف مخصص له، وإن خالفه بإفراد أو غيره فالوصف مؤكد، ولم أر من أفصح عن هذا لكن النحويين قالوا: إذا قيل له عندي عشرة إلا درهما، فقد أقر له بتسعة، فإن قال إلا درهم فقد أقر له بعشرة، وسره أن المعنى حينئذ عشرة موصوفة بأنها غير درهم، وكل عشرة فهي موصوفة بذلك، فالصفة هنا مؤكدة صالحة للإسقاط مثلها في: ﴿نَفَخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ سورة الحاقة: آية ١٣، وتخرج الآية على ذلك إذ المعنى حينئذ: لو كان فيهما آلهة لفسدنا: أي إن الفساد يترتب على تقدير تعدد الآلهة، وهذا هو المعنى المراد (مغني اللبيب : ٨٢ ، ٨٣ . وقال الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري ت

المفسرين ثم يستدل بكلام الإمام ابن هشام على صحة ما ذهبوا إليه لعمرى ما ذلك إلا تحكيم من الإمام الالوسي لابن هشام على المفسرين، وهذا غاية التأثير بالإمام ابن هشام، ولا مخبأ لعطر بعد عروس^(١).

وكذلك الحال مع الامام الزجاج وهو الامام الكبير من أئمة إعراب القرآن الكريم، ومعانيه، لا يكتفي الامام الالوسي بسوق رأيه دون أن يأتي بكلام الامام ابن هشام معززا لرأي هذا الإمام؛ ففي كلامه على قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٢)، حيث يقول في تفسيره لهذه الآية: (أي عالما بما صدر عني من التبليغ، والإنذار، وبما صدر عنكم من مقابلي بالتكذيب، والإنكار؛ فيجازي سبحانه كلا بما يليق به ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: من الأمور التي من جملتها شأني وشأنكم؛ فهو تقرير لما قبله من كفايته تعالى شهيدا، وجوز أن يكون المعنى كفى به عز وجل شاهدا بصدقي أي: مصدقا لي فيما أدعيته بالمعجزات، تصديق الشاهد لدعوى المدعي، وجملة يعلم إما صفة شهيدا، أو حال

٦٨ هـ_ في تفسيره الوسيط: (﴿لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهَةٌ﴾ أي في السماء والأرض آلهة معبودون يستحقون العبادة ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ معناه غير الله وهو صفة للآلهة على معنى آلهة هم غير الله كما يزعم المشركون وهذا قول جميع النحويين الاخفش والزجاج وأبي علي الفسوي كلهم قالوا إلا ليس باستثناء ها هنا ولكنه مع ما بعده صفة للآلهة في معنى غير قال الزجاج: وكذلك ارتفع ما بعدها على لفظ الذي قبلها وانشد: كل أخ مفارقة لعمر أببك إلا الفرقان قال: المعنى وكل أخ غير الفرقدين مفارقة أخوه وقوله ﴿لَفَسَدَتَا﴾ أي لخربتا وبطلتا وهلكتا وهلك من فيهما لوجود التمازي بين الآلهة فلا يجري أمر العالم على النظام لان كل أمر صدر عن اثنين فأكثر لم يجر على النظام .) الوسيط في تفسير القرآن المجيد تأليف الإمام أبو الحسن علي بن احمد الواحدي النيسابوري ت ٦٨ هـ ٢٣٣ / ٣ - ٢٣٤ تحقيق الشيخ عادل احمد عبد الموجود و الشيخ علي محمد معوض و د. احمد محمد صبرة و د. احمد عبد الغني الجمل ، ط/١ ، ١٤١٥ هـ ، ١٩٩٤ م دار الكتب العلمية بيروت - لبنان (١) هو مثل يضرب لمن لا يدخر عنه نفيس ينظر مجمع الأمثال، تأليف: أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري: ٢ / ٢١١ ، دار النشر: دار المعرفة - بيروت، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد . (٢) سورة العنكبوت: آية ٥٢

، أو استئناف لتعليل كفايته (١) ، ثم يقرر: أن (الباء) في (بالله) أنها زائدة، والاسم الجليل فاعل (كفى) ، ثم يأتي بكلام الإمام الزجاج (٢) : أن الباء دخلت لتضمن كفى معنى اكتف ، فهي معدية لا زائدة (٣) ، وهنا يأتي الإمام الالوسي بنص كلام ابن هشام من المغني حيث يقول: (قال ابن هشام في المغني: وهو من الحسن بمكان، ويصححه قولهم: أتقى الله تعالى امرؤ فعل خيرا يثب عليه، أي: ليتق بدليل جزم يثب ، ويوجبه قولهم: كفى بهند بترك التاء) (٤) ، فرغم جلاله الإمام الزجاج، ومكانه كتابه معاني القرآن ، يأتي بكلام الإمام ابن هشام في تعزيز كلام الإمام الزجاج.

مدح الإمام الالوسي للإمام ابن هشام في دقته العلمية في الاستنباط.

يتكلم الإمام الالوسي على قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ (٥) مبينا مدى استهزاء

(١) روح المعاني : ٢١ / ٧

(٢) إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج قال الخطيب : كان من أهل الفضل والدين ، حسن الاعتقاد ، جميل المذهب . كان يخرط الزجاج ، ثم مال إلى النحو ، فلزم المبرد ... ، بغية الوعاة : ١ / ٤١١ ، المتوفى سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة ، ينظر كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تأليف: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي: ١ / ١٦٤ ، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٣ - ١٩٩٢

(٣) ينظر تفسير روح المعاني : ٢١ / ٧

(٤) المصدر نفسه : ٢١ / ٧ ونص كلام ابن هشام في المغني : (الرابع عشر التوكيد وهي الزائدة وزيادتها في ستة مواضع أحدها الفاعل وزيادتها فيه واجبة وغالبة وضرورة فالواجبة في نحو أحسن بزيد في قول الجمهور إن الأصل أحسن زيد بمعنى صار ذا حسن ثم غيرت صيغة الخبر إلى الطلب وزيدت الباء إصلاحاً للفظ وأما إذا قيل بأنه أمر لفظاً ومعنى وإن فيه ضمير المخاطب مستترا فالباء معدية مثلها في امر بزيد والغالبة في فاعل كفى نحو: ﴿كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ سورة الإسراء: آية ٩٦، وقال الزجاج دخلت لتضمن كفى معنى اكتف ، وهو من الحسن بمكان ويصححه قولهم: أتقى الله امرؤ فعل خيرا يثب عليه أي: ليتق وليفعل بدليل جزم يثب ويوجبه قولهم: كفى بهند ، بترك التاء فإن احتج بالفاصل فهو مجوز لا موجب بدليل : ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ﴾ سورة الأنعام: آية ٥، ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَةٍ﴾ سورة فصلت: آية ٤٧ ، فإن عارض بقولك: أحسن بهند ، فالتاء لا تلحق صيغ الأمر ، وإن كان معناها الخبر، وقال ابن السراج: الفاعل ضمير الاكتفاء، وصحة قوله موقوفة على جواز تعلق الجار بضمير المصدر، وهو قول الفارسي والرماني أجازا مروري بزيد حسن وهو بعمره قبيح، وأجاز الكوفيون إعماله في الظرف وغيره ، ومنع جمهور البصريين إعماله مطلقاً ...) مغني اللبيب : ١١٥

(٥) سورة الفرقان: آية ٧

أهل مكة بالنبي صلى الله عليه و سلم ، وأنهم ذكروا أموراً هي في نظرهم من باب التهكم ، والسخرية بالنبي صلى الله عليه وسلم ؛ لظنهم أنها مستحيلة على النبي صلى الله عليه وسلم فعابوا عليه عليه الصلاة والسلام : انه يأكل الطعام ، ويطلب الرزق ، والكسب في الأسواق حاله كحال الناس جميعاً ، فهذه أمور لا يعاب عليها أحد فضلاً عن الأنبياء ، وقولهم : (هذا الرسول) ليس بإقرار برسالة النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما هو من باب السخرية ، والخط من قدر النبي صلى الله عليه وسلم كما يعتقدون^(١) ، وبعد كلام طويل للإمام الالوسي يأتي بكلام الإمام ابن هشام على معنى (لولا) بأنها تفيد التوبيخ حيث يقول : (وذكر ابن هشام في المعنى عن الهروي^(٢) أنه قال بمجيء لو لا للإستفهام ، ومثل له بمثالين أحدهما قوله تعالى : ﴿لَوْلَا أَنْزَلْ إِلَيْهِ مَلَكٌ﴾ ، وتعقب ذلك : بأنه معنى لم يذكره أكثر النحويين ، والظاهر : أنها في المثال المذكور مثلها في قوله تعالى : ﴿لَوْلَا جَاءَ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾^(٣) ، وذكر : أنها في ذلك للتوبيخ ، والتنديم ، وهي حينئذ تختص بالماضي ، ولا يخفى أنه إن عني بقوله تعالى : ﴿لَوْلَا أَنْزَلْ إِلَيْهِ مَلَكٌ﴾ : ما وقع هنا ، فأمر كونها فيه للتوبيخ والتنديم في غاية الخفاء فتدبر^(٤) ، ووصف الإمام الالوسي لكلام الإمام ابن هشام انه في غاية

(١) ينظر روح المعاني : ١٨ / ٢٣٧

(٢) علي بن محمد أبو الحسن الهروي صاحب الأزهية في الحروف ، وله أيضاً الذخائر في النحو ؛ كان عالماً بالنحو إماماً في الأدب ، جيد القياس ، صحيح الفريضة ، حسن العناية بالأدب ، مقيماً بالديار المصرية . ذكره ياقوت . بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : ٢ / ٢٠٥

(٣) ﴿لَوْلَا جَاءَ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ﴾ سورة النور : آية ١٣

(٤) روح المعاني : ١٨ / ٢٣٨ ، ونص ابن هشام في مغني اللبيب حيث يقول في المعنى الرابع من معاني (لولا) : (الرابع الاستفهام نحو : ﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَكَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ سورة المنافقون : آية ١٠ ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾ سورة الأنعام : آية ٨ ، قاله الهروي وأكثرهم لا يذكره والظاهر أن الأولى للعرض وأن الثانية مثل : ﴿لَوْلَا جَاءَ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ وذكر الهروي أنها تكون نافية بمنزلة لم وجعل منه : ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيبَةً أَمَنْتَ فَنَفَعَهَا إِمْنُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُوَسُّوْنَ لِمَاءَ أَمْنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَظَابَ الْآخِرَةِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْعَهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ سورة يونس : آية ٩٨ والظاهر أن المعنى على التوبيخ أي فهلا كانت قرية واحدة من

الخفاء ؛ لأن هذا المعنى في هذا الموطن غير متبادر إلى الذهن ، بل يحتاج إلى دقة نظر ، وصفاء خاطر ، ووحدة ذهن ، وهذا ليس ببعيد عن الإمام ابن هشام ، ومعنى التوبيخ في هذا الموطن ، وفي سورة الأنعام^(١) ممكن ؛ لأن السياق سياق استهزاء ، حيث أن الآية نزلت قبل الهجرة^(٢) ، وأن المشركين كانوا يعتقدون أنهم أصحاب الكفة الراجحة ، والعقول الصائبة لما يرون لهم من قوة ، و ظهور ، ووفرة رجال ، و حصول أموال بحسب عقولهم الكليلة ظنا منهم أن هذه الأمور هي التي تجعل المرء صاحب حق ، وصواب جدير بالإتباع ، على خلاف حال النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا لا يرون النبي صلى الله عليه وسلم حقيق بالإتباع ، بل عليه أن يتابعهم ، ولا يخالفهم ؛ لظنهم أن الإنسان إنما تكون مكانته بقدر ما يملك ، وهو عكس ما جبل الله عليه أنبياءه من الكمالات النفسية ، والعقلية ، والسلوكية دون حطام الدنيا الزائل ، والله اعلم .

المبحث الثالث الإمام الطاهر بن عاشور^(٣)

ذكر رأي الإمام ابن هشام مع ذكر آراء السابقين من العلماء .

القرى المهلكة تابت عن الكفر قبل مجيء العذاب فنفعتها ذلك وهو تفسير الأخفش والكسائي والفراء وعلي بن عيسى والنحاس ويؤيده قراءة أبي وعبد الله فهلا كانت ويلزم من هذا المعنى النفي لأن التوبيخ يقتضي عدم الوقوع (مغني اللبيب : ٢٧٣ ، ٢٧٤)

(١) ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَفُتِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴾ سورة الأنعام: آية ٨

(٢) ينظر روح المعاني : ١٨ / ٢٣٧

(٣) (ابن عاشور) * (١٢٩٦ - ١٣٩٣ هـ = ١٨٧٩ - ١٩٧٣ م) محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس . مولده ووفاته ودراسته بها . عين (عام ١٩٣٢) شيخا للإسلام مالكا . وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة .

له مصنفات مطبوعة ، من أشهرها (مقاصد الشريعة الإسلامية) و (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) و (التحرير والتنوير) في تفسير القرآن ، صدر منه عشرة أجزاء ، و (الوقف وآثاره في الإسلام) و (أصول الإنشاء والخطابة) و (موجز البلاغة) ومما عني بتحقيقه ونشره (ديوان بشار بن برد) أربعة أجزاء . وكتب كثيرا في المجالات . ينظر العلام للزركلي : ٦ / ١٧٤

يتكلم الإمام ابن عاشور على قوله تعالى من سورة البقرة: ﴿ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّتِي قُلَ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَاطَبُوا عَنْهَا فَأَعْرِضُوا عَنْهَا وَكَلِمَةً مُبِينَةً ﴾ (١) معنى (من) في الآية يفيد الفصل، والتمييز، وينسب هذا إلى الإمام ابن مالك في التسهيل (٢)، ومعروف لدى الجميع مكانة الإمام ابن مالك في النحو، ومع ذلك يأتي الإمام ابن عاشور برأي الامام ابن هشام انه بحث في مغني اللبيب في معنى (من)؛ من أنها في الآية الكريمة تفيد معنى الابتداء، أو بمعنى (عن) (٣)؛ فيكون التقدير: والله يعلم الأعمال الصادرة من المفسد، والأعمال الصادرة من المصلح، أو يعلم الأعمال الصادرة عنهما، والله اعلم.

تقديم الامام ابن عاشور رأي الامام ابن هشام على رأي المفسرين.

(١) سورة البقرة: آية ٢٢٠

(٢) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد في النحو للشيخ جمال الدين أبي عبد الله بن عبد الله المعروف بابن مالك الطائي الجبائي النحوي المتوفى سنة ٦٧٢ اثنتين وسبعين وستمائة وهو مجلد ... لخصه من مجموعته المسماة بالفوائد وهو كتاب جامع لمسائل النحو بحيث لا يفوت ذكر مسألة من مسائله وقواعده ولذلك اعتنى العلماء بشأنه فصنفوا له شروحا منها شرح المصنف وصل فيه إلى باب مصادر الفعل ... ثم كمله ولده بدر الدين محمد المتوفى سنة ٦٨٦ ست وثمانون وستمائة من المصادر إلى آخر الكتاب وكمله أيضا صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي المتوفى سنة ٨٩٤ أربع وتسعين وسبعمائة ومن الشروح شرح الشيخ العلامة أثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي المتوفى سنة ٧٤٥ خمس وأربعين وسبعمائة لخص فيه شرح المصنف وتكملة ولده وسماه التخييل الملخص من شرح التسهيل وله شرح آخر على الأصل سماه التذييل والتكميل وهو شرح كبير في مجلدات أوله الحمد لله المتفرد بشريف الاختراع الخ أورد فيه اعتراضات على المصنف ثم جرد أحكام هذا الشرح في ارتشافه . كشف الظنون : ١/ ٤٠٥

(٣) ينظر التحرير والتتوير للشيخ الإمام محمد الطاهر بن عاشور : ٢ / ٢٥٨. الطبعة التونسية ، دار النشر : دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧ م . و ابن هشام يقول في مغني اللبيب : (الثاني عشر الفصل وهي الداخلة على ثاني المتضادين نحو ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ﴾ ﴿ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ سورة آل عمران: آية ١٧٩ قاله ابن مالك وفيه نظر لأن الفصل مستفاد من العامل فإن ماز وميز بمعنى فصل والعلم صفة توجب التمييز والظاهر أن (من) في الآيتين للابتداء أو بمعنى (عن) (مغني اللبيب : ٣١٦ . وابن هشام يذهب إلى أن (يعلم) في الآية ضمن معنى (يميز) ومن هنا جاء معنى الفصل لا من (من) ينظر مغني اللبيب : ٦٤٨ ، ٦٤٩ .

يذهب الإمام ابن عاشور إلى أن (أل) التعريف في كلمة (الصلح) من قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾^(١) هي أل الجنسية، وليست العهدية، والفرق: هو انه إذا قلنا أنها العهدية كان المعنى: إن الصلح المذكور في قوله تعالى: ﴿أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ هو المقصود، أما إذا قلنا أنها أل الجنسية: كان المعنى أن ماهية الصلح من حيث ذاته هو المقصود بالصلح خير، ويذكر الإمام ابن عاشور أن الذي حمل بعض المفسرين على القول بأنها أل العهدية هي القاعدة المشهورة عند بعض النحاة التي تقول: إن النكرة إذا أعيدت نكرة كانت غير الأولى، وإذا أعيدت معرفة كانت عين الأولى، وهو في هذا التوجيه يستند إلى مرجحين الأول: من حيث المعنى، وهو أن الصلح المذكور بصيغة التذكير المراد به (الخلع) في هذه الآية؛ فمعناه خاص، والأولى بالصلح أن يكون معناه عاما يشمل كل صلح بين متنازعين، وإن كان المراد أن يكون الخلع خير من النزاع صحيحا؛ إلا أن ذلك يوهم أن المفاضلة قائمة بين النزاع والصلح؛ مع أن النزاع لا أفضلية فيه، والمرجح الثاني هو رأي ابن هشام الذي ذكره الإمام ابن عاشور: أن ابن هشام رد تلك القاعدة المشهورة بآيات من القرآن الكريم، وهي: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾^(٢)، وقوله: ﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾^(٣)، الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدوا

(١) سورة النساء: آية ١٢٨

(٢) سورة الروم: آية ٥٤

(٣) سورة النساء: آية ١٢٨

﴿^(١)، والشيء لا يكون فوق نفسه، ﴿وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ
بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ
تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ. وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ
﴿^(٢)، يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ
فَقَالُوا ارْنَا إِلَهَكَ فَخَذَتْهُمْ الصَّعِقَةُ يُظْلِمُهُمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ
الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿^(٣)(٤)، ومع كون القاعدة مشتهرة عند
النحاة؛ إلا أن الإمام ابن عاشور لابد أن يأتي بكلام الإمام المحقق الشيخ ابن هشام
الأنصاري الذي حقق هذه المسألة في كتابه المغني ^(٥)، ويبيّن عليها توجيهه للآية
الكريمة بما يتفق و قواعد النحو العربي، ولغة القرآن الكريم .

(١) سورة النحل: آية ٨٨

(٢) سورة المائدة: آية ٤٥

(٣) سورة النساء: آية ١٥٣

(٤) ينظر التحرير والتنوير : ٥ / ٢١٦

(٥) وابن هشام يسوق أدلته التي يعترض فيها على من قال بهذه القاعدة في سورة الانشراح : ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ سورة الشرح: آية ٥ - ٦ حيث يقول : (١٤ الرابع عشر قولهم: إن النكرة إذا أعيدت
نكرة كانت غير الأولى ، وإذا أعيدت معرفة أو أعيدت المعرفة معرفة أو نكرة كان الثاني عين الأول ، وحملوا على
ذلك ما روي (لن يغلب عسر يسرين) قال الزجاج: ذكر العسر مع الألف واللام ثم ثنى ذكره فصار المعنى: إن
مع العسر يسرين اهـ. ويشهد للصورتين الأوليين أنك تقول: اشتريت فرسا ثم بعث فرسا، فيكون الثاني غير الأول،
ولو قلت ثم بعث الفرس لكان الثاني عين الأول، وللرابع قول الحماسي:

صفحنا عن بني ذهل وقلنا القوم إخوان عسى الأيام أن يرجعن قوما كالذي كانوا .

ويشكل على ذلك أمور ثلاثة : أحدها أن الظاهر في آية : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ سورة الشرح: آية ١، أن الجملة الثانية
تكرر للجملة الأولى كما تقول: إن لزيد دارا إن لزيد دارا ، وعلى هذا فالثانية عين الأولى ، والثاني أن ابن مسعود
قال: (لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه إنه لن يغلب عسر يسرين) مع أن الآية في قراءته
وفي مصحفه مرة واحدة فدل على ما ادعينا من التأكيد ، وعلى أنه لم يستفد تكرر اليسر من تكرره بل هو من
غير ذلك كأن يكون فهمه مما في التكرير من التفخيم فتأوله بيسر الدارين ، والثالث أن في التنزيل آيات ترد هذه

وعند كلام الإمام ابن عاشور على قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١)، يذكر: أن (إذا) في الآية الكريمة تفيد معنى الظرفية للفعل الماضي (اتقوا)؛ فيكون المعنى: لا جناح عليهم إذ كانوا آمنوا واتقوا، ويؤول معنى الكلام: ليس عليهم جناح لأنهم آمنوا واتقوا فيما كان محرماً يومئذٍ، وما تناولوا الخمر وأكلوا الميسر إلا قبل تحريمهما، ومع أن الإمام ابن عاشور يذكر أن هذا رأي الإمام ابن مالك؛ إلا أن ذلك لم يمنعه من الإتيان بكلام الإمام ابن هشام، ويذكر: أن هذا ما درج عليه الإمام ابن هشام في مغني اللبيب وذلك أن الإمام ابن هشام فرض آراءه بقوة لقوة أدلته من القرآن الكريم، وكذلك نجد أن الإمام ابن عاشور

الأحكام الأربعة فيشكل على الأول قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ سورة الروم: آية ١٥ الآية: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ سورة الزخرف: آية ٨٤، والله إله واحد سبحانه وتعالى، وعلى الثاني قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ سورة النساء: آية ١٢٨، فالصلح الأول خاص وهو الصلح بين الزوجين، والثاني عام؛ ولهذا يستدل بها على استحباب كل صلح جائز، ومثله: ﴿زِدْنَهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ سورة النحل: آية ٨٨، والشيء لا يكون فوق نفسه، وعلى الثالث قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ سورة آل عمران: آية ٢٦ فإن الملك الأول عام، والثاني خاص،: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ سورة الرحمن: آية ٦٠ فإن الأولى العمل، والثاني الثواب،: ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ سورة المائدة: آية ٤٥، فإن الأول القاتلة والثانية المقتولة، وكذلك بقية الآية، وعلى الرابع: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنِزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ سورة النساء: آية ٥٣، وقوله: إذ الناس ناس والزمان زمان. فإن الثاني لو ساوى الأول في مفهومه لم يكن في الإخبار به عنه فائدة وإنما هذا من باب قوله: أنا أبو النجم وشعري شعري؛ أي وشعري لم يتغير عن حالته، إذا ادعي أن القاعدة فيهن إنما هي مستمرة مع عدم القرينة، فأما إن وجدت قرينة فالتعويل عليها سهل الأمر (مغني اللبيب ٦٢١ - ٦٢٢ - ٦٢٣).

(١) سورة المائدة: آية ٩٣

يذكر أن المفسرين قد اعتمدوا هذا التوجيه للآية الكريمة ^(١) وهذا دليل كبير على تأثر الإمام ابن عاشور بالإمام ابن هشام الأنصاري رحمهما الله تعالى .

اهتمام الإمام ابن عاشور بكلام الإمام ابن هشام في حروف المعاني .

يتكلم الإمام ابن عاشور على قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾ ^(٢) مبينا معنى الآية الكريمة؛ إلا انه ما إن يأتي إلى حروف المعاني حتى يكون الامام ابن هشام انيسه و جليسه ، وهو هنا يأتي بكلام ابن هشام حيث يقول : (واللام في قوله : (لميقاتنا) صنف من لام الاختصاص ، كما سماها في (الكشاف) ومثلها بقولهم : أنتيته لعشر خلون من الشهر ، يعني أنه اختصاص ما ، وجعلها ابن هشام بمعنى عند ، وجعل ذلك من معاني اللام وهو أظهر ، والمعنى : فلما جاء موسى مجيباً خاصاً بالملاقات أي : حاصلاً عنده لا تأخير فيه ، كقوله تعالى : (أقم الصلاة لدلوك الشمس) ^(٣) وفي الحديث سئل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أي الأعمال أفضل فقال : (الصلاة لوقتها) ^(٤) أي عند وقتها ومنه (فطلقوهن

(١) ينظر تفسير ابن عاشور : ٧ / ٣٣ ، ٣٤ ، والناظر في مغني اللبيب في باب (إذا) يجد ابن هشام يذكر أنها تأتي ظرفاً للمستقبل وأنها تخرج عن هذا المعنى أحياناً فتأتي لمعنى ظرفية الماضي . ينظر مغني اللبيب : ١٠٢ ، ١٠٤ ،

(٢) ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ، قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ ، فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

﴿ سورة الأعراف : آية ١٤٣ ﴾

(٣) من سورة الإسراء : آية ٧٨

(٤) صحيح البخاري : كتاب التوحيد باب وَسَمَّى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَاةَ عَمَلًا وَقَالَ لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ رقم الحديث (٧٠٩٦) حدثني سُلَيْمَانُ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ الْوَلِيدِ وَحَدَّثَنِي عَبَّادُ بْنُ يَعْقُوبَ الْأَسَدِيُّ أَخْبَرَنَا عَبَّادُ بْنُ الْعَوَّامِ عَنْ الشَّيْبَانِيِّ عَنْ الْوَلِيدِ بْنِ الْعِزَّازِ عَنْ أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ عَنْ بَن مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ قَالَ الصَّلَاةُ لَوْ قُتِلَ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . صحيح البخاري ج ٦ / ص ٢٧٤٠

لعدتهن^(١)، وقوله: (وجعل ذلك من معاني اللام وهو أظهر) دليل واضح على مدى تأثر الإمام ابن عاشور بالإمام ابن هشام؛ وذلك لأن الأول ذكر رأياً آخر من باب الجواز وهو: أن تكون اللام تعليلية؛ وذلك لتضمن الميقات معنى الملاقاة والمناجاة: أي جاء لأجل ميقاتنا ومناجاتنا^(٢)، ومن تأثر بشيء قدمه وامتدحه .

امتناع الإمام ابن عاشور عن الأخذ برأي الإمام ابن هشام ثم رجوعه عن ذلك .

ونجد للإمام ابن عاشور موقفاً مختلفاً عن موقفه من ابن هشام في ما سبق، فعند كلامه على قوله تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَمِيدُونَ الْحَمِيدُونَ الْمُتَّحِقُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالْكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣) حيث يذهب في هذه الآية يذهب إلى أن الواو عاطفة في: ﴿وَالْكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(٤) ثم يذكر آراء من أثبت معنى واو الثمانية من العلماء، ويذكر كلام الإمام ابن هشام في رده على من أثبت هذه الواو، ولا يذكر أدلته التي رد بها أن تكون هذه الواو هي واو الثمانية، إلا أنه أشار إجمالاً إلى الأدلة التي اعترض بها الإمام ابن هشام على من أثبت هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَالْكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾، وبعد ذلك يقرر: أن هذا الاستخدام موجود في كلام العرب حيث يقول: (وقال جمع من العلماء: إن الواو في قوله: (والناهون عن المنكر) واو يكثر وقوعها في كلام العرب عند ذكر معدود ثامن، وسموها واو

(١) سورة الطلاق: آية ١

(٢) التحرير والتنوير: ٩ / ٩٠ ، وابن عاشور اخذ بمعنى كلام ابن هشام وليس نصه وذلك أن الإمام ابن هشام ذكر أن من معاني اللام أن تكون بمعنى (عند) حيث يقول: (والحادي عشر أن تكون بمعنى عند كقولهم كتبته لخمس خلون وجعل منه ابن جني قراءة الجحدي: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ سورة ق: آية ٥ بكسر اللام وتخفيف الميم) مغني اللبيب: ٢١٦

(٣) ينظر المصدر نفسه: ٩ / ٩٠

(٤) سورة التوبة: آية ١١٢

(٥) ينظر التحرير والتنوير: ١١ / ٤١

الثمانية . قال ابن عطية ^(١): ذكرها ابن
مناظرة لأبي علي الفارسي ^(٢) في معنى قوله تعالى: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى
الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طُبِّئَتْ فَأَدْخَلُوهَا
خَالِدِينَ ﴾ ^(٣)، وأنكرها أبو علي الفارسي، وقال ابن هشام في (مغني اللبيب): وذكرها
جماعة من الأدباء كالحريري ^(٤)، ومن المفسرين كالثعلبي ^(٥)، وزعموا أن العرب إذا

(١) عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن غالب بن تمام بن عطية الإمام الكبير قدوة المفسرين أبو محمد
الغزناطي القاضي حدث عن أبيه الحافظ الحجة أبي بكر وعن أبي علي الغساني و محمد بن الفرّج الطلاعي
وخلّاق وكان فقيها عارفا بالأحكام والحديث والتفسير بارع الأدب بصيرا بلسان العرب واسع المعرفة له يد في
الإنشاء والنظم والنثر وكان يتوقّد ذكاء له التفسير المشهور ولي قضاء المرية روى عنه أبو جعفر بن مضاء و
عبد المنعم بن الفرّس وآخرون آخرهم بالإجازة أبو الحسن علي بن أحمد الشقوري المتوفى سنة ست عشرة
وستمئة مولده سنة ثمانين وأربعمائة ومات في خامس عشر من رمضان سنة إحدى وأربعين وخمسمئة .
طبقات المفسرين المؤلف : عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي : ١ / ٥٠ ، تحقيق : علي محمد عمر ، الناشر
: مكتبة وهبة - القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٦

(٢) (١١ - الحسين بن أحمد [٣٧٠ - ٤٠٠]) ابن خالويه الهمداني ، أبو عبد الله . إمام اللغة والعربية
وغيرهما من العلوم الأدبية أخذ ابن خالويه عن جماعة من الأكابر : ابن مجاهد ، وابن الأنباري ، وابن
دريد ، ونفطويه ، وأبي عمر الزاهد . وروى عن جماعة . طبقات الفقهاء الشافعية للشيخ الإمام تقي الدين أبو
عمرو عثمان بن عبد الرحمن ابن الصلاح سنة الولادة ٥٧٧ هـ / سنة الوفاة ٦٤٣ هـ : ١ / ٤٥٥ ، تحقيق محيي
الدين علي نجيب ، الناشر دار البشائر الإسلامية ، سنة النشر ١٩٩٢ م ، مكان النشر بيروت

(٣) الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان بن أبان أبو علي الفارسي الفسوي الإمام العلامة قرأ النحو على
أبي إسحاق الزجاج فقرأ على أبي بكر محمد بن السري الزجاج وأخذ عنه كتاب سيبويه وبرع في النحو وانتهت
إليه رئاسته وصحب عضد الدولة فعظمه وأحسن إليه ومن حين ودع عضد الدولة ... لحق بسيف الدولة فأكرمه
أخذ عنه النحو خلق كثير كابن جني وأبي الحسن الربيعي وأبي طالب العبدى وعالم كثير وله كتاب التذكرة
وكتاب الحجة في القراءات وكتاب الأغفال وكتاب الإيضاح والتكملة وغير ذلك وكان ذا وفر يقال إنه أوصى
بثلث ماله لنحاة بغداد والقادمين عليها وكان ذلك ثلاثين ألف دينار البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة
للشيخ الإمام العلامة محمد بن يعقوب الفيروزآبادي : ١ / ١٣ ، تحقيق : محمد المصري ، الطبعة : الأولى
نشر / جمعية إحياء التراث الإسلامي - الكويت - ١٤٠٧

(٤) سورة الزمر : آية ٧٣

(٥) القاسم بن علي بن محمد بن عثمان البصري الإمام أبو محمد الحريري ولد في حدود سنة ست وأربعين
وأربعمائة ، وقرأ على الفضل القصباني ، وكان غاية في الذكاء والفطنة والفصاحة والبلاغة ، وتصانيفه تشهد
بفضله ، وتقر بنبله . وكفاه شاهدا المقامات التي أبر بها على الأوائل ، وأعجز الأواخر وللمخشري في

إذا عدّوا قالوا : ستة سبعة وثمانية ، إيداناً بأن السبعة عدد تام وأن ما بعدها عدد مستأنف ، واستدلوا بآيات إحداها: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ ﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَذِبًا ﴾^(٢)، ثم قال: الثانية آية الزمر^(٣) إذ قيل: ﴿ فُتِحَتْ ﴾، (في آية النار لأن أبواب جهنم سبعة) ، ﴿ وَفُتِحَتْ ﴾ في آية الجنة إذ أبوابها ثمانية ، ثم قال: الثالثة: ﴿ وَالنَّاهُوتِ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ فإنه الوصف الثامن ، ثم قال: والرابعة: ﴿ وَأَبْكَارًا ﴾^(٤) في آية التحريم ذكرها القاضي الفاضل^(٥) وتبجح باستخراجها، وقد سبقه

المقامات : (أقسم بالله وآياته * * ومشعر الحج وميقاته) (أن الحريري حري بأن * * تكتب بالتبر مقاماته)
بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: ٢ / ٢٥٧ ، ٢٥٨

(١) أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق النيسابوري المعروف بالثعلبي صاحب التفسير والعرائس في قصص الأنبياء أخذ عنه أبو الحسن الواحدي.... قال الذهبي وكان حافظاً رأساً في التفسير والعربية متين الديانة وقال وتوفي في المحرم سنة سبع وعشرين وأربعمائة وحكى ابن خلكان قولاً آخر أنه توفي سنة سبع وثلاثين ووهمه الإسنيوي بما لا يصح قال ابن السمعاني ويقال له الثعلبي و الثعالبي لقب عليه طبقات الشافعية . للشيخ الإمام حمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة: ١ / ٢٠٣ ، تحقيق : د. الحافظ عبد العليم خان الطبعة : الأولى ، نشر : عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٧ هـ

(٢) ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَذِبًا وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَذِبًا رَّجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَذِبًا قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ سورة الكهف: آية ٢٢
(٣) ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتُحْتِ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ سورة الزمر: آية ٧١ - ٧٣

(٤) ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَقْنَاكَ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مُسْلِمًا مَّؤْمِنًا فَنَسَبِ عَدُوِّكَ سَنَسَبٍ نَّيِّبٍ وَأَبْكَارًا ﴾ سورة التحريم: آية ٥

(٥) المولى الإمام العلامة البليغ، القاضي الفاضل، محيي الدين، يمين المملكة، سيد الفصحاء، أبو علي عبد الرحيم بن علي بن الحسن بن الحسن بن أحمد بن المفرج ، اللخمي، الشامي، البيساني الأصل، العسقلاني المولد، المصري الدار، الكاتب، صاحب ديوان الإنشاء الصلاحي. ولد سنة تسع وعشرين وخمس مئة ، ... انتهت إلى القاضي الفاضل براعة الترسل وبلاغة الإنشاء، وله في ذلك الفن اليد البيضاء، والمعاني المبتكرة، والباع الأطول، لا يدرك شأوه، ولا يشق غباره، مع الكثرة. قال ابن خلكان (٣): يقال إن مسودات رسائله ما يقصر عن مئة مجلد، وله النظم الكثير. ... وقال ابن خلكان : وزر للسلطان صلاح الدين بن أيوب، ... قال الحافظ

إلى ذكرها الثعلبي . . . ، وأما قول الثعلبي : أن منها الواو في قوله تعالى: ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾^(١) فسهو بين وإنما هذه واو العطف اه . وأطال في خلال كلامه بردود ونقوض^(٢) ، وقال ابن عطية (وحدثني أبي عن الأستاذ

المنذري : ركن إليه السلطان ركونا تاما، وتقدم عنده كثيرا، وكان كثير البر، وله آثار جميلة. توفي ليلة سابع ربيع الآخر سنة ست وتسعين وخمس مئة.

سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي : ٢١ / ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ .

(١) سورة الحاقة : آية ٧

(٢) قال ابن هشام في تحقيق هذا المقام: (والتاسع: واو الثمانية، ذكرها جماعة من الأدباء كالحريري ومن النحويين الضعفاء كابن خالويه، ومن المفسرين كالثعلبي ، وزعموا: أن العرب إذا عدوا قالوا ستة سبعة وثمانية إذا ما بعدها عدد مستأنف ، واستدلوا على ذلك بآيات إحداها: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ إلى قوله سبحانه: ﴿ سَبْعَةٌ وَثَامَنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ سورة الكهف: آية ٢٢ ، وقيل هي في ذلك لعطف جملة على جملة إذ التقدير: هم سبعة، ثم قيل: الجميع كلامهم ، وقيل: العطف من كلام الله تعالى ، والمعنى نعم هم سبعة وثمانهم كلبهم، وإن هذا تصديق لهذه المقالة كما أن ﴿ رَجَاءٌ بِالْغَيْبِ ﴾ تكذيب لتلك المقالة ويؤيده قول ابن عباس رضي الله عنهما: (حين جاءت الواو انقطعت العدة) أي: لم يبق عدة يلتفت إليها ، فإن قلت: إذا كان المراد التصديق فما وجه محيء ﴿ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ قلت: وجه الجملة الأول تأكيد صحة التصديق بإثبات علم المصدق ، ووجه الثانية الإشارة إلى أن القائلين تلك المقالة الصادقة قليل، أو أن الذي قالها منهم عن يقين قليل ، أو لما كان التصديق في الآية خفيا لا يستخرجه إلا مثل ابن عباس قيل ذلك ، ولهذا كان يقول: أنا من ذلك القليل هم سبعة وثمانهم كلبهم، وقيل: هي واو الحال ، وعلى هذا فيقدر المبتدأ اسم إشارة أي : هؤلاء سبعة ؛ ليكون في الكلام ما يعمل في الحال ، ويرد ذلك أن حذف عامل الحال إذا كان معنويا ممتنع ؛ ولهذا ردوا على المبرد قوله في بيت الفرزدق : وإذا ما مثلهم بشر ، إن مثلهم حال ناصبها خبر محذوف أي : وإذا ما في الوجود بشر مماثلا لهم الثانية آية الزمر إذ قيل: (فُتِحَتْ) في آية النار لأن أبوابها سبعة (وَفُتِحَتْ) في آية الجنة إذ أبوابها ثمانية وأقول : لو كان لواو الثمانية حقيقة لم تكن الآية منها، إذ ليس فيها ذكر عدد البتة وإنما فيها ذكر الأبواب وهي جمع لا يدل على عدد خاص ثم الواو ليست داخلية عليه بل هي جملة هو فيها وقد مر أن الواو في (وَفُتِحَتْ) مقحمة عند قوم، وعاطفة عند آخرين، وقيل: هي واو الحال أي: جاؤوها مفتحة أبوابها كما صرح بمفتحة حالا في: ﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مِّنْ ثَمَرَاتٍ هُمْ فِيهَا أَبَدُونَ ﴾ سورة ص: آية ٥٠ ، وهذا قول المبرد والفارسي وجماعة ، قيل: وإنما فتحت لهم قبل مجيئهم إكراما لهم عن أن يقفوا حتى تفتح لهم، الثالثة: ﴿ وَالْكَاهِنُ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ سورة التوبة : آية ١١٢ ، فإنه الوصف الثامن ، والظاهر أن العطف في هذا الوصف بخصوصه إنما كان من جهة أن الأمر والنهي من حيث هما أمر ونهي متقابلان بخلاف بقية الصفات ، أو لأن الأمر بالمعروف ناه عن المنكر، وهو ترك المعروف ، والناهي عن المنكر أمر بالمعروف ، فأشير إلى الاعتداد بكل من الوصفين

النحوي أبي عبد الله الكفيف الملقب^(١) أنه قال: هي لغة فصيحة لبعض العرب من شأنهم أن يقولوا إذا عدّوا: واحد ، اثنان ، ثلاثة ، أربعة ، خمسة ، ستة ، سبعة ، وثمانية ، تسعة ، عشرة ، فهكذا هي لغتهم ، ومتى جاء في كلامهم أمر ثمانية أدخلوا الواو (اه ، وقال القرطبي^(٢) : هي لغة قريش . وأقول : كثر الخوض في هذا المعنى للواو إثباتاً ونفيّاً ، وتوجيهاً ونقضاً ، والوجه عندي أنه استعمال ثابت ، فأما في المعداد الثامن فقد اطرء في الآيات القرآنية المستدل بها ، ولا يريبك أن بعض المقترن بالواو فيها ليس بثامن في العدة ؛ لأن العبرة بكونه ثامناً في الذكر لا في الرتبة ، وأما اقتران الواو بالأمر الذي فيه معنى الثامن كما قالوا في قوله تعالى : (وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) ، فإن مجيء الواو لكون أبواب الجنة ثمانية ، فلا أحسبه إلا نكتة لطيفة جاءت اتفاقية . وسيجيء هذا عند قوله تعالى في سورة الزمر ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا ﴾ وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾^(٣) إلا أن الملاحظ أن الإمام ابن عاشور في أثناء كلامه على

، وأنه لا يكتفي فيه بما يحصل في ضمن الآخر ، وذهب أبو البقاء على إمامته في هذه الآية مذهب الضعفاء فقال: إنما دخلت الواو في الصفة الثامنة إيذاناً بأن السبعة عندهم عدد تام؛ ولذلك قالوا سبع في ثمانية أي سبع أذرع في ثمانية أشبار ، وإنما دخلت الواو على ذلك ؛ لأن وضعها على مغايرة ما بعدها لما قبلها الرابعة: ﴿ وَأَبْكَارًا ﴾ سورة التحريم: آية ٥ ، في آية التحريم ذكرها القاضي الفاضل وتبجح باستخراجها ، وقد سبقه إلى ذكرها الثعلبي ، والصواب أن هذه الواو وقعت بين صفتين هما تقسيم لمن اشتمل على جميع الصفات السابقة فلا يصح إسقاطها ؛ إذ لا تجتمع الثبوبة والبقارة ، وواو الثمانية عند القائل بها صالحة للسقوط وأما قول الثعلبي: إن منها الواو في قوله تعالى: ﴿ سَجَّ لَيَالٍ وَكُنُيَّةَ أَيَّامٍ ﴾ سورة الحاقة: آية ٧ ، فهو بين وإنما هذه واو العطف وهي واجبة الذكر ثم إن (أبكاراً) صفة تاسعة لا ثامنة إذ أول الصفات ﴿ خَيْرًا مِّنْكُمْ ﴾

﴿ لَأُمْسِلَتْ ﴾ فإن أجاب بأن مسلمات وما بعده تفصيل لخيرا منكن فلهذا لم تعد قسيمة لها قلنا : وكذلك

﴿ تَبَيَّنَ وَأَبْكَارًا ﴾ تفصيل للصفات السابقة فلا نعدهما معهن (مغني اللبيب : ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣

(١) لم أجد له ترجمة .

(٢) محمد بن أحمد بن أبي فرح الأنصاري الخرجي المالكي أبو عبد الله القرطبي مصنف التفسير المشهور الذي سارت به الركبان و التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ... قال الذهبي : إمام متفنن متبحر في العلم له تصانيف مفيدة تدل على إمامته وكثرة إطلاعه ووفور فضله مات بمنية بني خصيب من الصعيد الأدنى سنة إحدى وسبعين وستمائة . طبقات المفسرين للإمام السيوطي : ٧٩

(٣) التحرير و التنوير : ١١ / ٤٢ ، ٤٣

قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَقَّ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾^(١) من سورة الزمر، نراه ميّالا لموقف الإمام ابن هشام من (واو) الثمانية حيث يقول: (وقد وهم في هذه الواو بعض النحاة مثل ابن خالويه، والحريري وتبعهما الثعلبي في) (تفسيره) (فرعموا): أنها واو تدخل على ما هو ثامن، إمّا لأن فيه مادة ثمانية كقوله: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾، فقالوا في ﴿وَفُتِحَتْ﴾ جيء بالواو لأن أبواب الجنة ثمانية، وإما لأنه ثامن في التعداد نحو قوله تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَمِيدُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ فإنه الوصف الثامن في التعداد، ووقع هذه الواوات مُصادفة غريبة، وتنبّه أولئك إلى تلك المصادفة تنبه لطيف؛ ولكنه لا طائل تحته في معاني القرآن بله بلاغته، وقد زينه ابن هشام في (مغني اللبيب)، وتقدم الكلام عليها عند قوله تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَمِيدُونَ﴾ في سورة التوبة وعند قوله: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ (في سورة الكهف .) ^(٢) ففيما مر بنا عند كلامه على سورة التوبة رأيناه قد أيد القائلين بواو الثمانية وهو هنا يتبنى رأي الإمام ابن هشام فيها و الظاهر انه رجوع عن رأيه هناك إلى قول الإمام ابن هشام في سورة الزمر، فاللاحق قاض على السابق، والله اعلم .

رجوع الإمام ابن عاشور إلى الإمام ابن هشام في حل المشكل.

ومعروف لدى الجميع مدى تبحر الإمام ابن عاشور في الاطلاع على آراء المفسرين؛ إلا انه يأخذ برأي الإمام ابن هشام عندما يستشكل أمرا في سورة الجاثية في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُتَّقِينَ﴾^(٣) وهو كيف يستثنى الظن من نفسه، وهنا يأتي دور

(١) سورة الزمر : آية ٧٣

(٢) التحرير والتنوير : ٢٤ / ٧٢

(٣) سورة الجاثية : آية ٣٢

الاستشهاد بكلام الامام ابن هشام للخروج من الإشكال وهو أن الاستثناء من نفسه يصححه تنكير المستثنى الدال على التحقير المشعر به تنوين (ظنا) أي: إلا ظنا ضعيفا^(١).

نتائج البحث :

توصلت في بحثي المتواضع هذا إلى عدة نتائج سألخص ذكرها في ما يأتي إن شاء الله تعالى مختصرا :

١. أخذ الامام الثعالبي بتوجيه الامام ابن هشام للآيات حيث يذكر: أن معناها هو غير المتبادر من ظاهر النص كما في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ﴾ ، حيث لا يصح انتصاب مائة بأماته ؛ لأن الإمامة سلب الحياة ، وهي لا تمتد ، وإنما الوجه أن يضمن أماته معنى البثه ، فكأنه قيل فألبثه الله بالموت مائة عام ؛ وحينئذ يتعلق به الظرف.

٢. أخذ الامام الثعالبي برأي الامام ابن هشام في معاني الحروف كما في قوله تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَالَهُمْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي

الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ حيث يذهب الامام الثعالبي إلى ما ذهب إليه الامام ابن هشام من أن (من) في الآية الكريمة بمعنى البدل. وكما في قوله تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا

(١) ينظر التحرير والتنوير : ٢٥ / ٣٧٣ ونص ابن هشام في المغني للبيب : ٢٩١ - ٢٩٢ (أن المصدر في الآية ... على حذف الصفة أي إلا ظنا ضعيفا ...) وقال في موضع آخر من المغني عند كلامه على حذف الصفة : ٥٨٩ - ٥٩٠ (حذف الصفة : ﴿ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ سورة الكهف : آية ٧٩ ، أي صالحة بدليل أنه قرئ كذلك ، وأن تعييبها لا يخرجها عن كونها سفينة فلا فائدة فيه حينئذ : ﴿ تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ سورة الأحقاف : آية ٢٥ ، أي سلطت عليه بدليل : ﴿ مَا نَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ ﴾ سورة الذاريات : آية ٤٢ الآية : ﴿ قَالُوا أَأَتْنَحْنُ بِالنَّحْيِ ﴾ سورة البقرة : آية ٧١ ، أي الواضح وإلا كان مفهومه كفرا ﴿ وَمَا تُرِيهِمْ مِنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ﴾ سورة الزخرف : آية ٤٨ ، وقال : فلم أعط شيئا ولم أمنع ، وقال وليست دارنا هاتا بدار ، أي من أختها السابقة ودار طائلة ولم أعط شيئا طائلا دفعا للتناقض فيهن : ﴿ قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ لَسَمَّ عَلَى شَيْءٍ ﴾ سورة المائدة : آية ٦٨ أي نافع ، ﴿ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا ﴾ سورة الجاثية : آية ٣٢ ، أي ضعيفا .)

الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٠٠﴾؛ حيث يذكر الآثار الواردة في تفسيرها

ثم يذكر كلام الامام ابن هشام في تأويل (من) أنها مرادفة ل (في) .

٣. اهتمام الامام الثعالبي الاهتمام الكبير بكلام الامام ابن هشام حيث انه يقدمه على كلام

أصحاب كتب مجاز القرآن و إعرابه، كما في قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا

عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا

وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٠١﴾ حيث اخذ برأي الامام ابن هشام من

أن (يوم) منصوب بفعل مقدر مناسب تقديره: احذروا ، أو اذكروا لا انه منصوب

ب (يحذركم) والرأي المعترض عليه هو للإمام مكي بن أبي طالب القيسي صاحب كتاب

(مشكل إعراب القرآن)

٤. أما الامام الالوسي فقد اهتم برأي الامام ابن هشام في توجيه معنى الآيات

الكريمة ، ففي كلامه على قوله تعالى : ﴿وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَوْمَ

الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ يذكر رأي الامام ابن هشام في توجيهها من انه أجاز

أن تكون (من) نكرة موصوفة بتقدير العهد ، و موصولة بتقدير الجنس في (أل)

التعريف من (الناس) ، ويبنى على هذين التقديرين انه إذا كانت نكرة موصوفة

يكون المعنى: (فريق) ، وإذا كانت موصولة يكون المعنى: ومن الناس الذي

يقول، والقول بالنكرة الموصوفة فيه إبهام؛ فيكون المعنى عاما ، وأما القول

بالموصولة ، فهذا يدل على نفر من الناس نزلت بحقهم هذه الآيات .

٥. اخذ الامام الالوسي برأي الامام ابن هشام وتقديره على آراء العلماء من

المفسرين ففي كلام الإمام الالوسي على قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ كُلَّ لَمَّا لُيُوفِيَنَّهُمْ

رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠٣﴾ ، يذكر أن (لما) هذه هي الجازمة حذف

فعلها المجزوم لدلالة المعنى عليه، وبعد أن يذكر آراء العلماء في توجيهها

، ويذكر: أن التقدير لفعلها المجزوم المحذوف هو: (إن كلا لما ينقص من

جزاء عمله) ، وهذا رأي الإمام ابن الحاجب ، وتابعه على هذا الرأي ، الإمام

أبو حيان الأندلسي؛ إلا أن الإمام الالوسي يعترض على هذا

التقدير، ويذكر: أن الأولى هو أن يقدر: (لما يوفوا أعمالهم) أي: إلى الآن لم يوفوها وسيوفونها، ثم يذكر: أن هذا هو ما ذهب إليه الإمام ابن هشام الأنصاري.

٦. مدح الامام الالوسي للإمام ابن هشام في دقة استنباطه، فعندما تكلم الإمام الالوسي على قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُودُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ مبينا مدى استهزاء أهل مكة بالنبي صلى الله عليه وسلم، وأنهم ذكروا أمورا هي في نظرهم من باب التهكم، والسخرية بالنبي صلى الله عليه وسلم؛ لظنهم أنها مستحيلة على النبي صلى الله عليه وسلم فعابوا عليه عليه الصلاة والسلام: انه يأكل الطعام، ويطلب الرزق، والكسب في الأسواق حاله كحال الناس جميعا، فهذه أمور لا يعاب عليها احد فضلا عن الأنبياء، وبعد كلام طويل للإمام الالوسي يأتي بكلام الإمام ابن هشام على معنى (لولا) بأنها تفيد التوبيخ حيث يقول: (وذكر ابن هشام في المغنى عن الهروي أنه قال بمجيء لولا للإستفهام، ومثل له بمثالين، أحدهما قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ﴾، وتعب ذلك: بأنه معنى لم يذكره أكثر النحويين، والظاهر: أنها في المثال المذكور مثلها في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾، وذكر: أنها في ذلك للتوبيخ، والتنديم، وهي حينئذ تختص بالماضي، ولا يخفى أنه إن عني بقوله تعالى: ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ﴾: ما وقع هنا؛ فأمر كونها فيه للتوبيخ والتنديم في غاية الخفاء فتدبر)، ووصف الإمام الالوسي لكلام الإمام ابن هشام انه في غاية الخفاء؛ لأن هذا المعنى في هذا الموطن غير متبادر إلى الذهن، بل يحتاج إلى دقة نظر، وصفاء ذهن، وحدة خاطر.

٧. أما الامام ابن عاشور فحاله لا يختلف عن سابقه فله اهتمام كبير بذكر رأي الامام ابن هشام مع ذكر آراء كبار العلماء في توجيه معنى النص القرآني

الكريم، فعندما تكلم الإمام ابن عاشور على قوله تعالى من سورة البقرة: ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الصَّالِحِ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا رَسُولَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ مبيناً: أن معنى (من) في الآية يفيد الفصل، والتمييز، وينسب هذا إلى الإمام ابن مالك في التسهيل، ومعروف لدى الجميع مكانة الإمام ابن مالك في النحو، ومع ذلك يأتي الإمام ابن عاشور برأي الإمام ابن هشام أنه بحث في مغني اللبيب في معنى (من) من أنها في الآية الكريمة تفيد معنى الابتداء، أو بمعنى (عن)؛ فيكون التقدير: والله يعلم الأعمال الصادرة من المفسد، والأعمال الصادرة من المصلح، أو يعلم الأعمال الصادرة عنهما.

٨. تقديم الإمام ابن عاشور رأي الإمام ابن هشام على رأي المفسرين. ففي معرض كلامه على قوله تعالى: ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ يذهب الإمام ابن عاشور إلى أن (أل) التعريف في كلمة (الصالح) من قوله تعالى هي أل الجنسية، وليست العهدية، والفرق: هو أنه إذا قلنا أنها العهدية كان المعنى: إن الصلح المذكور في قوله تعالى: ﴿أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ هو المقصود، أما إذا قلنا أنها أل الجنسية: كان المعنى أن ماهية الصلح من حيث ذاته هو المقصود بالصلح خير، ويذكر الإمام ابن عاشور أن الذي حمل بعض المفسرين على القول بأنها أل العهدية هي القاعدة المشهورة عند بعض النحاة التي تقول: إن النكرة إذا أعيدت نكرة كانت غير الأولى، وإذا أعيدت معرفة كانت عين الأولى، وهو في هذا التوجيه يستند إلى مرجحين الأول: من حيث المعنى، وهو أن الصلح المذكور بصيغة التنكير المراد به (الخلع) في هذه الآية؛ فمعناه خاص، والأولى بالصلح أن يكون معناه عاماً يشمل كل

صلح بين متنازعين ، وإن كان المراد أن يكون الخلع خير من النزاع صحيحا ؛ إلا أن ذلك يوهم أن المفاضلة قائمة بين النزاع والصلح ؛ مع أن النزاع لا أفضلية فيه ، والمرجح الثاني هو رأي ابن هشام الذي ذكره الإمام ابن عاشور : أن ابن هشام رد تلك القاعدة المشهورة بآيات من القرآن الكريم .^٩ امتناع الإمام ابن عاشور عن الأخذ برأي الإمام ابن هشام ثم رجوعه عن ذلك ، حيث ذهب في كلامه على قوله تعالى : ﴿التَّائِبُونَ الْعَمَدُونَ الْحَمْدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّكَاهُوتَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إلى إثبات واو الثمانية والتعريض بأدلة ابن هشام في رده على من أثبت هذه الواو ، ونجد للإمام ابن عاشور موقفا مختلفا عن موقفه من ابن هشام في ما سبق ، فعند كلامه على قوله تعالى : حيث يذهب في هذه الآية يذهب إلى أن الواو عاطفة في : ﴿وَالنَّكَاهُوتَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(١) ثم يذكر

(١) ينظر التحرير والتنوير : ١١ / ٤١

قائمة المصادر :

- ١ . الأدوات النحوية في كتب التفسير للدكتور محمود احمد الصغير ، طبع دار الفكر ط/١ ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م دمشق _ سوريا

٢. أصول السرخسي، تأليف: محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي أبو بكر ، دار النشر: دار المعرفة - بيروت
٣. الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب و المستعربين والمستشرقين لخير الدين الزر كلّي ط/٧، ١٩٨٦، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان .
٤. إعلام الموقعين عن رب العالمين، تأليف: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، دار النشر: دار الجيل - بيروت - ١٩٧٣، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد
٥. الأمالي النحوية لابن الحاجب تحقيق هادي حسن حمودي نشر مكتبة عالم الكتب ، ط/١، ١٩٨٥ . مغني اللبيب تحقيق د . عبد اللطيف محمد الخطيب نشر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ط/١ الكويت ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م
٦. الإنصاف في مسائل الخلاف ت ٥٧٧ هـ تحقيق الإمام محمد محيي الدين عبد الحميد ط/دار إحياء التراث العربي الطبعة الرابعة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م
٧. البحر المحيط، تفسير البحر المحيط، تأليف: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق (١) د. زكريا عبد المجيد ألنوقي (٢) د. أحمد النجولي الجمل
٨. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ولد ٨٤٩ هـ/ توفي ٩١١ هـ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة المكتبة العصرية، لبنان - صيدا

٩. البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة للشيخ الامام العلامة محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق : محمد المصري ، الطبعة : الأولى نشر / جمعية إحياء التراث الإسلامي - الكويت - ١٤٠٧
١٠. التحرير والتنوير للشيخ الإمام محمد الطاهر بن عاشور ، الطبعة التونسية ، دار النشر : دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧ م .
١١. تحقيق اسمي الصحيحين واسم جامع الترمذي ، تأليف العلامة المحقق الشيخ الدكتور عبد الفتاح أبو غدة ط ١ / ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م نشر مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب
١٢. تفسير الفخر الرازي مفاتيح الغيب من القرآن الكريم للإمام محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي أبو عبد الله فخر الدين ط / دار إحياء التراث العربي
١٣. الجواهر الحسان في تفسير القرآن للشيخ الامام عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت
١٤. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للإمام شهاب الدين أبي العباس بن يوسف ابن محمد بن إبراهيم المعروف بالسمين الحلبي ت ٧٥٦ هـ تحقيق الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل احمد عبد الموجود والدكتور جاد مخلوف جاد والدكتور زكريا عبد المجيد النوتي طبعة دار الكتب العلمية ط/ ١ / ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م بيروت - لبنان
١٥. دراسات لأسلوب القرآن الكريم للشيخ الإمام محمد عبد الخالق عزيمة ، ط / دار الحديث القاهرة ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م
١٦. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للإمام العلامة محمود بن عبد الله الحسيني الالوسي، شهاب الدين، أبو الثناء ، دار إحياء التراث العربي - بيروت

١٧. سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان

الذهبي ت ٧٤٨ هـ ، تحقيق خيرى سعيد ، ط/ المكتبة التوفيقية

١٨. صحيح البخاري طبعة: دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت - ١٤٠٧

- ١٩٨٧ ، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا و اسم صحيح

البخاري هو(الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى

الله عليه وسلم وسننه وأيامه

١٩. صحيح مسلم، تأليف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري

النيسابوري ، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق:

محمد فؤاد عبد الباقي . و اسم صحيح مسلم هو(المسند الصحيح

المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه

وسلم)

٢٠. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، تأليف شمس الدين بن عبد الرحمن

السخاوي ط / مكتبة الحياة بيروت - لبنان

٢١. طبقات الشافعية . للشيخ الإمام حمد بن محمد بن عمر بن قاضي

شبهة، تحقيق : د. الحافظ عبد العليم خان الطبعة : الأولى ، نشر :

عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٧ هـ

٢٢. طبقات الفقهاء الشافعية للشيخ الامام تقي الدين أبو عمرو عثمان بن

عبد الرحمن ابن الصلاح سنة الولادة ٥٧٧ هـ / سنة الوفاة ٦٤٣ هـ ،

تحقيق محيي الدين علي نجيب ، الناشر دار البشائر الإسلامية ، سنة

النشر ١٩٩٢ م ، مكان النشر بيروت

٢٣. طبقات المفسرين للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق :

علي محمد عمر ، الناشر : مكتبة وهبة - القاهرة ، الطبعة الأولى ،

٢٤. العجّاب في بيان الأسباب، تأليف: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي ، دار النشر: دار ابن الجوزي - السعودية - ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس .
٢٥. الفصول في الأصول، تأليف: أحمد بن علي الرازي الجصاص ، دار النشر: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت - ١٤٠٥ ، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. عجيل جاسم النشمي .
٢٦. قصيدة بانث سعاد لكعب بن زهير بشرح ابن هشام ، تحقيق محمود حسن أبو ناجي طبع مؤسسة علوم الفران دمشق - بيروت
٢٧. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تأليف: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٣ - ١٩٩٢
٢٨. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، تأليف: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي ، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ط/٢ _ ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م. ، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري
٢٩. مجمع الأمثال، تأليف: أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري ٢١١ ، دار النشر: دار المعرفة - بيروت، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد .
٣٠. معجم القراءات للدكتور عبد اللطيف الخطيب طبعة دار سعد الدين الطبعة الاولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م دمشق - سوريا
٣١. معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر تأليف عادل نويهض نشر مؤسسة نويهض الثقافية ط/٣ ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.

٣٢. المعجم الوسيط ، تأليف/ إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر ، محمد النجار، دار النشر : دار الدعوة تحقيق / مجمع اللغة العربية

٣٣. معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي ت ٣٩٥ هـ - ط/ دار الكتب العلمية ط/ ٢- ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م
٣٤. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تأليف: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله ، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٤ ، الطبعة: الأولى، تحقيق: بشار عواد معروف ، شعيب الأرناؤوط ، صالح مهدي عباس .

٣٥. مغني اللبيب عن كتب الاعاريب لجمال الدين ابن هشام الأنصاري تحقيق الدكتور مازن المبارك محمد علي حمد الله ط/ دار الفكر ط/ ١ - ١٤١٩ هـ - ١٩٨٩ م بيروت - لبنان

٣٦. مغني اللبيب عن كتب الاعاريب لجمال الدين ابن هشام الأنصاري تحقيق وشرح الدكتور عبد اللطيف محمد الخطيب ، ط/ ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

٣٧. مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، تأليف احمد بن مصطفى الشهير بطاش كبري زادة ط/ دار الكتب العلمية ط/ ٣- ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.

٣٨. الوسيط في تفسير القرآن المجيد تأليف الإمام أبو الحسن علي بن احمد الواحدي النيسابوري ت ٤٦٨ هـ تحقيق الشيخ عادل احمد عبد الموجود و الشيخ علي محمد معوض و د. احمد محمد صيرة و د. احمد عبد الغني الجمل ، ط/ ١ ، ١٤١٥ هـ ، ١٩٩٤ م دار الكتب العلمية بيروت - لبنان

آراء من اثبت معنى واو الثمانية من العلماء، ويذكر كلام الامام ابن هشام في رده على من اثبت هذه الواو، ولا يذكر أدلته التي رد بها أن تكون هذه الواو هي واو الثمانية، إلا انه أشار إجمالاً إلى الأدلة التي اعترض بها الامام ابن هشام على من اثبت هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَالْتَاوُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾، وبعد ذلك يقرر: أن هذا الاستخدام موجود في كلام العرب ثم في كلامه على سورة الزمر من قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾. يتراجع عن إثبات هذه الواو ويسوق كلام ابن هشام بنصه ويرد على من تبنى هذا الرأي من المفسرين .

١٠. رجوع الامام ابن عاشور إلى الامام ابن هشام في حل المشكل، ففي كلامه على سورة الجاثية يستشكل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُتَّقِينَ﴾ وهو كيف يستثنى الظن من نفسه، وهنا يأتي دور الاستشهاد بكلام الامام ابن هشام للخروج من الإشكال وهو أن الاستثناء من نفسه يصححه تكرير المستثنى الدال على التحقير المشعر به تنوين (ظنا) أي: إلا ظنا ضعيفا.

هذه ابرز النتائج التي توصلت لها في بحثي هذا فان أصبت فمن الله فهو ولي النعمة والتوفيق وان أخطأت فهذا جهد البشر الذي سمته النقص والتقصير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .